الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر – بسكرة –
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم الأدب العربي

الحوار القصصي في القرآن الكريم
دراسة في التواصل والإبلاغ
سورة الكهف أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في علوم اللسان

إعداد الطالبة: نورة بن حمزة

إشراف الدكتور: الجودي مرداسي

أعضاء لجنة المناقشة

الدكتور بومعزة رابح	أستاذ محاضر	بسكرة	رئيسا
الدكتور مرداسي الجودي	أستاذ محاضر	باتنة	مشرفا ومقررا
الدكتور دفة بلقاسم	أستاذ محاضر	بسكرة	ممتحنا
الدكتور دباش عبد الحميد	أستاذ محاضر	باتنة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2007 م – 2008 م
1428هـ – 1429هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

(رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ).

سورة النمل ، 19.

مقدمة

القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على رسوله سيدنا محمد ρ، والمتعبد بتلاوته والمتحدي به الإنس والجن والعالمين.

لقد أثار القرآن الكريم في أساليبه الرسالية أكثر من أسلوب من أجل الوصول إلى عقل الإنسان وشعوره، وكانت القصة من بين الطرق التي سلكها القرآن في هذا السبيل، سواء القصة التاريخية التي تتحدث عن تاريخ الأنبياء السابقين والأمم السابقة، أو القصة التي تذهب مذهب المثل في عرضها لبعض الصور الاجتماعية المتحركة في واقع الحياة، أو القصة القصيرة الخاطفة التي تشير إلى موقف خاص، أو نموذج بشري معين.

وتأخذ القصة القرآنية حيويتها من خلال ظاهرة تعدد الأصوات التي تشكل شبكة الحوار فيها.

فالحوار هو أسلوب الأنبياء، ورسالتهم الإلهية إلى الإنسان، حيث بدأ الإنسان يحاور الأنبياءحواراعنيفايبررتمرده،ووقف الأنبياء أمامه يحاورونه حوارا يخفف من تمرده، فكانت الكلمة الطيبة تقابل الكلمة العنيفة الحاقدة. إذن فلا بد من الحوار لتستمر الحياة.

وكان القرآن الكريم خاتمة الكتب السماوية التي جاءت لتعلم الإنسان كيف يكون الحوار طريقا للفكر والعقيدة والعمل.

وجاء الإسلام – من خلال القرآن الكريم- ليكون دين الحوار، ويحاور الآخرين على أساس الحجة والبرهان والدليل، ليعلمهم كيف يصلون إلى القناعة بالكلمة الطيبة، والأسلوب المقنع والموعظة الحسنة.

فالإسلام هو الذي علمنا كيفية الافتتاح والبدء في الحوار، والخوض في أجوائه، والطريقة التي يتم بها إنهاء الحوار.

وكانت جدة موضوع البحث وأهميته هي الداعي الأساس في اختيارنا هذا الموضوع، والرغبة في الاطلاع على خباياه، بالإضافة إلى هذا قلة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، فيما نعتقد. ولقد اخترنا القصة في القرآن الكريم لما للقصص من أثر فعال في النفوس، وجذب لانتباه القارئ، وتشويق وتلهف لمعرفة النهاية، وارتياح لحل العقدة والصراع، وحب الاستطلاع، ولأن القصة صورة من صور البيان العربي.

فما هو الهدف من الحوار؟ وما هي قيمة وحقيقة الحوار في القرآن الكريم بصفة عامة، وفي القصة القرآنية بصفة خاصة؟

وهدف هذه الدراسة هو الكشف عن طرق التواصل في القصة القرآنية بصفة عامة، وفي القصة القرآنية التي يغلب عليها الطابع الحواري بصفة خاصة. وقد تم اختيار سورة الكهف؛ لأن القصص هو العنصر الغالب فيها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فهي تمثل نموذجا من نماذج الحوار الذي يشكل شبكة التواصل بين الأطراف المتحاورة.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وقسمت الدراسة إلى فصلين بعد المدخل وشرح السورة.

المدخل الذي بسط للحديث إلى مفهوم القصة بصفة عامة، والقصة القرآنية بصفة خاصة. وتطرقت فيه أيضا إلى مفهوم الحوار في القصص القرآني، ثم عرضت الحديث عن اللغة باعتبارها أداة التواصل بين الأطراف المتحاورة.

أما شرح السورة، فتطرقت فيها إلى مفهوم ومعنى الكهف، وكذلك القصص الواردة في هذه السورة.

وأما الفصل الأول، فعقد لبيان مفهوم القصة في القرآن الكريم، و الخصائص الفنية العامة للقصة القرآنية، ثم عرض عناصر الحوار وشروطه في القصة القرآنية.

والفصل الثاني قد خصص لبعض المفاهيم الإجرائية في الدراسة كمفهوم التواصل والإبلاغ، والذي تناولت فيه أيضا مواطن الحوار في سورة الكهف. وقد أوجزت في الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وفي الأخير وقبل أن أختم هذه المقدمة، لابد من تقديم واجب الاعتراف بالفضل إلى أستاذي المشرف الدكتور الجودي مرداسي، الذي كان نعم الأستاذ الناصح، بشكره على ما بذله من جهد لمتابعة هذا البحث حتى خرج قابلا للقراءة، ولا يسعني إلا أن أشكر كل من أسهم من قريب أو من بعيد في مد يد العون لإنجاز هذا البحث، متمنية أن أكون قد مهدت الطريق لمن يرغب بعدي من الباحثين في استكمال دراسة هذا الموضوع، أو التعمق فيه. والله أسأل التوفيق والسداد، وأن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم، فإنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وهو نعم المولى ونعم النصير.

مدخل

الحوار القصصي: اللغة والتواصل

ورد جذر " قص"و" قصص" في معاجم لغوية كثيرة، فالقص فعل القاص إذا قص القصص[1]، والقاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء. من ذلك قولهم: اقتصصت الأثر، إذا تتبعته، ومن ذلك أيضا اشتقاق القِصاص في الجراح، وذلك أنه يفعل به مثل فعله بالأول، فكأنه اقتص أثره... ...

ومن الباب: قصصت الشعر، وذلك أنك إذا قصصته فقد سويت بين كل شعرة وأختها، فصارت الواحدة كأنها تابعة للأخرى مساوية لها في طريقها.[2]

يقال: قص أثره قصا وقصيصا وقَصَصا: تتبعه، وقص الخبر: أعلمه[3]، وقصصت الشيء إذا تتبعت أثره شيئا بعد شيء. والقِصة: الخبر وهو القصَص. وقص علي خبره يقصه قصا وقصصا: أورده[4]، وأعلمه، وأخبره.[5] وتقصص كلامه: حفظه. وتقصص الخبر: تتبعه. والقص البيان، والقصص، بالفتح: الاسم. والقاص: الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها، وقص آثارهم يقصها قصا وقصصا وتقصصها: تتبعها بالليل، وقيل: هو تتبع الأثر أي وقت كان[6]، فالقاص للأثر أشبه بما يعرف في عصرنا هذا بتصوير « البصمات» أو رفع الآثار وتصويرها، ليستدل منها على ما وراءها من أحداث مضت، وليمسك بما يقدر إمساكه منها.[7]

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قصص)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1997، 269/5.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (قص)، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991، 5/ 11.

(3) الفيروزا بادي، القاموس المحيط، مادة (قصص)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999، 479/2.

(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قصص)، 269/5-270.

(5) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (قصص)، دراسة وتحقيق علي شبري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د ط)، 1994، 335/9 .

(6) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قصص)، 270/5.

(7) عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص 45.

والقص: قطع يستطيل ويتبع بعضه بعضا مثل قص الثوب بالمقص، وقص الجناح وما أشبه ذلك، وهذه قصة الرجل يعني الخبر عن مجموع أمره، وسميت قصة لأنها يتبع بعضها بعضا حتى تحتوي على جميع أمره.(8)

أما القصص فهو ما كان طويلا من الأحاديث متحدثا به عن سلف، ولا يقال لله قاص لأن الوصف بذلك صار علما لمن يتخذ القصص صناعة، وأصل القصص في العربية اتباع الشيء، وسمي الخبر الطويل قَصَصا لأن بعضه يتبع بعضا حتى يطول وإذا استطال السامع الحديث قال : هذا قصص(9)؛ فالقصص إذن الأخبار المتتبعة .(10)

والقَصَص: الخبر المقصوص، بالفتح، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه، والقصص، بكسر القاف، جمع القصة التي تكتب.(11)

ففي المعاجم إذن تدور مادة (قص) حول الاتباع، اتباع الأثر أو الخبر أو الحديث.(12) والقص فعل إنساني، تعبيري، يمسح حدثا واقعيا أو متخيلا، يجسم من خلاله وبواسطة القول (الملفوظ أو المكتوب) عينة لواقعة من وقائع الحياة، بأسلوب تصريحي أو تلميحي(رمزي).

إن القص نشاط فني، متجذر في الثقافة الإنسانية منذ فجر التاريخ، وهو مثل سائر الفنون، قد مر بمرحلة النشوء، واخترق الأطوار الفكرية التي اجتازها الإنسان مجسدا آنا، في الخرافة سعيا من الإنسان إلى تأويل لحظة من وجوده، ومجسدا آنا آخر في الأسطورة، ... ولم يكن الإنسان في كل ذلك هائما خارج دائرة الواقع،... ... فرصد معارفه في القصة، واخترق بها الأجيال والأعصر، وثبت خطاه على صعيد الزمنية،

---

(8) أبو هلال العسكري، كتاب الفروق، قدم له وضبطه وعلق حواشيه وفهرسه الدكتور أحمد سليم الحمصي، جروس برس، لبنان، ط1، 1994، ص 45 – 46 .

(9) المرجع نفسه، ص 45.

(10) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داووي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط2، 1997، ص 671.

(11) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قصص)، 270/5.

(12) خالد أحمد أبو جندي، الجانب الفني في القصة القرآنية – منهجها وأسس بنائها– (نظرية بناء القصة الفنية في القرآن الكريم)، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، (د ط)، (د ت)، ص 130 .

بقصص حكى فيها تاريخه، وملامحه، ودأب على تطوير فاعلية القص فيه إلى أن باتت من أهم الشروط الفكرية لصنع الواقع، ولتجاوز متاهاته .(13)

أما ما يخص التراث القصصي في أدبنا العربي فهو متصل الحلقات منذ أقدم العصور، وهو متنوع في صيغته وفي محتواه، فهناك قصص « الأمثال » التي تصور جوانب الحياة في العصر الجاهلي وفي صدر الإسلام، مما جمعه « الميداني» و«الزمخشري» وغيرهما، وهناك الأسمار والأساطير والخرافات التي تتعدد ينابيعها بين عربية وفارسية وهندية، مما احتشدت به كتب «الأخباريين» مثل كتاب « الوزراء والكتاب» للجهشياري، و« المحاسن والمساوئ» للبيهقي .ولدينا القصص العاطفي الذي تكاثر في العصر الأموي، كقصة « مجنون ليلى »، و« قيس ولبنى»، و«جميل بثينة» وما نشأ بعد ذلك من مقامات « الهمذاني» و« الحريري » ومن إليهما، ومن القصص الأدبي، « رسالة الغفران» لأبي العلاء المعري، و« رسالة التوابع والزوابع» لابن شهيد الأندلسي، ومن القصص الفلسفي « كرسالة حي بن يقظان » لابن طفيل و« رسالة الطير» للغزالي، ومن القصص الشعبي « كألف ليلة وليلة » و« سيرة عنترة» وما أخذ مأخذها من سير وحكايات.

في هذا التراث القصصي ذخيرة من الأفكار والعبر، هي صفوة تجربة الدهر وحكمة الأيام في استنباط الحقائق واجتلاء السرائر. وفيه كشف عن الروح الشرقي والفكر العربي وما للإيمان بما وراء الطبيعة من أثر في مجريات الحياة ومصا ير الناس، وفيه تمثيل للمجتمع العربي ومعيشته وتفاعل بيئاته وطبقاته... ... وفيه يشيع الأنس والمرح بما يتخلله من مطايبات وأفاكيه، وهو في هذا كله يتميز بدقة الوصف، وخلابة التصوير، وبراعة الحوار.(14)

إذن لقد تعاطى العرب القص، بمعناه الحكائي منذ القدم، وتعد أخبارهم وأيامهم مادة حكائية غنية بالرؤى والتلوينات الفنية، وكان طابع بيئتهم الرعوي – الزراعي– يوفر المناخ

(13) سليمان عشراتي، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 1998، ص 65.

(14) محمود تيمور، القصة في الأدب العربي وبحوث أخرى، منشورات المكتبة العصرية صيدا وبيروت، (د ط)،(دت)، ص5–7.

المناسب، لشيوع الشكل القصصي الخبري لديهم، بل إن تلك البيئة بعراقتها البدوية، قد عرفت اللون القصصي الخرافي،... ثم أضحى القص بمجيء الإسلام، وظيفة ثقافية وعظية مهمة حيث كان القُصاص يجلسون إلى الناس في المسجد، أو في مكان آخر للوعظ ولاستثارة الحس الديني في النفوس، مستثمرين المعين القرآني، تفسيرا وتفصيلا لأخباره وقصصه، مضيفين على مسروداتهم، ظلالا من أخيلتهم وتصوراتهم لما يقصون. وكان القص من أهم فعاليات التحريض التي رافقت حملات الفتح الإسلامي، في المشارق والمغارب، لقد كانت مجالس السمر، تنعقد حول القصاص، فيسمع المجاهدون فيها ما يقوي النفوس، ويوطن المشاعر على حب التضحية نشرا لرسالة الله في الأفاق.(15)

فالقصة في مقدمة الفنون الأدبية، التي تعالج في إطارها مشكلات الإنسانية بإيحاء متحرر مكين من عقليتنا وفلسفتنا، وبهداية قويمة مستمدة من وجداننا وروحنا، حتى يتبين العالم المتحضر في أدبنا القصصي المتطور خلقا جديدا يسفر فيه وجه العروبة الطلق ويتضوع منه عبير الشرق العريق.(16)

إذن لقد ظل القص من وسائل التحسيس الديني، وذريعة استلابية يسخرها السلطان من أجل توطيد نفوذه لمرامي الخير والشر .

ومثلما استغل الحكام وسيلة القص لأغراضهم، فقد وجدت الجماهير والجماعات المهملة والمغلوبة على أمرها، في القص وسيطا...تنفيسيا، يمررون من خلاله رسالتهم الرافضة للواقع المجحف، والمعارضة لشروطه... من هنا حدث في فن القص تطور اقتضته عوامل التاريخ، والاجتماع، والعمران، وابتعد قليلا أو كثيرا عن وازعه الوعظي الصريح، ليغدو خطابا سياسيا، وعقديا قائما على رمزية أدبية، استوجبتها ضرورات التستر... وسياسة الاستمالة والاستدراج.

وراجت في العصر العباسي وظيفة القص، وزاد عدد القصاص في الأمصار، ويحدثنا الجاحظ عن سلاسل من قصاص البصرة، والكوفة، تؤكد مدى الحيوية التي لعبها القص في بلورة واقع المسلمين التاريخي، والثقافي والنفسي، وسيصبح القص مع عصور

(15) سليمان عشراتي، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ص65–66.

(16) محمود تيمور، القصة في الأدب العربي وبحوث أخرى، ص12.

الانحطاط وسيلة إنسانية تشد المسلم إلى الآخرة، أكثر مما تحرك فيه وازع الحياة، والسعي في عمارة الأرض، كما شاءت له الإرادة الإلهية، وكما ركزت عليه أخبار الأنبياء وقصص الرسل في القرآن.[17]

إن اعتماد القصة في غرس تقنيات الكلام، وتعليم أساليب القول طريق تربوي مأمون النتائج، ومنهج تعليمي ناجح.

أثبتت التجارب التربوية والبحوث العلمية قدرة القصة على غرس المفاهيم في غير علم من العلوم، وغير مستويات تعليمية تربوية، وذلك لأخذها في الاعتبار الأصول النفسية للمتعلم، ومراعاة العواطف والانفعالات.[18] وهذا هو الذي يجعل المتعلم منفعلا مع المعلم؛ لأن في القصة تسلية وترويح عن النفس، وتدفع الملل من نفوس المتعلمين وبالتالي يكون التعليم والتعلم ناجحا.

فلا غرابة أن نجد القصة في القرآن، بوصفها واسطة بيانية تبليغية لناموس سماوي، غايته تجذير العقيدة، وتوطيد نظام حياة متكامل للإنسانية، وتغيير ما بالنفوس من جهالة، وشرك وعبودية، نزعت منزعا واقعيا، فصدرت في الأغلب عن مرجعيات تاريخية، ارتبطت بسير الأنبياء، والرسل في أزمان غابرة، وبأخبارهم، وصراعاتهم من أجل رسالات الله،... .... فالصدق التاريخي معيار حرص القرآن على إثباته وتأكيده، المرة تلو المرة.[19]

ولما للقصص من أثر فعال في النفوس، وجذب لانتباهها،... وتشويق وتلهف لمعرفة النهاية، وارتياح لحل العقدة والصراع، وحب تشوف للاستطلاع، لجأ القرآن إلى الأسلوب القصصي، فالتقى الغرض الديني بالغرض الفني، لأن القصة صورة من صور البيان العربي.[20]

---

(17) سليمان عشراتي، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ص66-67.

(18) محمد كشاش، صناعة الكلام كيفية اكتساب مستحسن الخطاب ومسكت الجواب في ضوء الأساليب التربوية، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2000، ص30-31.

(19) سليمان عشراتي، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ص67.

(20) محمد الدالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية، ط1، 1993، ص 18.

والقصــة القرآنيـة ليسـت عمـلا فنيـا قائمـا بذاتـه، بـل هـي جـزء مـن القـرآن ووسـيلة من وسائله[21] لنشر الدعوة.

إن القصـة القرآنيـة بهـذا الأسـلوب الفنـي وضـعت للقصاصـين، قانونـا لضـبط ووزن مقاييس البناء الفني في العمل الروائي[22]...

فالقصــة فــي القــرآن لا تحــدد خطاطــات(shemas) جامــدة، لفــن القصــة، ولكنهــا تؤصل تخريجات سردية، تتبلور فيها القصة الواحدة، في صور تجعل من القص القرآني، فنا مفتوحا على التنويع، يراوح بين القصة الموقف، حيث الحوار يبني الحدث ويجلي الوقائع،و بين القصة الممشهدة، حيث يقوم السرد بالرصد، والعرض، من خلال... الإجمال والتفصيل القصصيين، تحقيقا للمغزى القرآني، وترسيخا للرسالة في ذهن المتلقي بكيفية تأثيرية، تحرك الخيال والعقل معا.[23]

وممــا ينبغــي التأكــد مــن معرفتــه فــي هــذا المقــام، هــو أن القصــص القرآنــي لكــي يكــون مــؤثرا فــي النفــوس، نافعــا للقلــوب، جــاء موافقــا للحيــاة العربيــة علــى كثيــر من جوانبها، ولم يخرج عن مألوف حياة الناس التي يحيونها[24]؛ فالقصة القرآنية منتزعة من الواقع الوجودي للنـاس فـي أحداثها، وأشخاصـها، وأمكنتهـا، وأزمنتهـا ...لا ينكـر النـاس منهـا شيئا، ولا يبعد عليهم منها شيء ... فهي وإن تكن قد ذهب أشخاصـها، وبعد زمانها، واندثر مكانها، إلا دائما بمشهد من الناس ومحضر، حيث يرون أشباهها في كل زمان ومكان.[25]

ولو جاء على غير هذا لما كان للناس التفات إليه، ولو أنهم التفتوا إليه لما وقع لهم منه إلا البلبلة والاضطراب !

فالنـاس يتداولون الأنباء ويروون الأخبار ويتناقلونها، على تعدد الأشـخاص واختلاف الألسنة ، ثم لا يكون شيء من ذلك حـائلا بينهم وبين أن يفيدوا منها، وينتفعوا بها ويخلصـوا

---

(21) العرابي لخضر، مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، (د ط)، (د ت)، ص 19.

(22) خالد أحمد أبو جندي، الجانب الفني في القصة القرآنية – منهجها وأسس بنائها – (نظرية بناء القصة الفنية في القرآن الكريم)، ص 132.

(23) سليمان عشراتي، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ص 69.

(24) العرابي لخضر، مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين، ص 23.

(25) عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص 142.

إلـى مضـامينها... وغايـة مـا يمكـن أن ينظـر إليـه فـي هـذه الأحـوال وهـو الصـدق فـي الروايـة والأمانة في النقل، والدقة في التصوير والتعبير.[26]

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن القصة الأدبية في القديم والحديث، فسنجد بعضها يقوم على الخيال الذي لا حقيقة له، وبعضها يقوم على تشويه الحقائق وثالث ينحرف به الكاتب عن القيم والمثل والمبادئ.

وبنظـرة إلـى كتـاب القصـة الـذين اشـتهروا تجـد أن الشـذوذ والانحـلال الخلقـي والتهـريج كان الطابع لأكثرهم، هذا عن الكتاب العالميين للقصة ؛ أما الكتاب العرب فهم بين مترجم ترجمة حرفية، أو ناقل للفكرة، ليضعها في أسلوبه وقالب من الكلمات العربية، وقليل أولئك الـذين سـاروا بالقصـة مسـارها الصـحيح نهجـا وموضـوعا مسـتوحين ذلـك كلـه مـن بيئتنـا وقيمنا.[27]

إن القصص الأدبي الذي يعالج الحياة الواقعة أو المتوقعة يختلط فيه الخيال بالحقيقة وتكثر فيه الشحطات والرؤى والأحلام، ولا يجد الناس غرابة في هذا، فهم إنما يأخذونه على هـذا الوجـه، وينظـرون فيـه علـى تلـك الصـفة، ولـيس كـذلك مـا كـان مـن القـرآن مـن حـديث عـن الواقـع أو المسـتقبل، إنـه لـيس رجمـا بالغيـب، ولا خيـالا مـن الخيـالات ولا حلما من الأحلام، ولكنه الصدق المصفى، والحق المبين، ومن هنا لم يكن لهذه الأخبار التـي جـاء بهـا القـرآن مـدخل إلـى القصـص، الـذي لا بـد فيـه مـن عناصـر الغرابـة أو المفارقة أو الاستحالة التي تثير الدهشة والاستغراب. والتي يلعب فيها الخيال في عقول النـاس دورا كبيـرا، فصـان الله سـبحانه أخبـار الغيـب التـي نطـق بهـا القـرآن مـن أن تقـع في نفوس الناس هذا الموقع، وأن يتدسس إلى مشاعرهم منها هذا الإحساس.[28]

وعمومـا يمكـن القـول بأنـه مهمـا كـان القصـص القرآنـي سـماوي المطلـع ومبنيـا بنـاء محكمـا مـن لبنـات الحقيقـة المطلقـة[29]، فهـو بشـري الصـورة، إنسـاني المنـازع والعواطـف، يتحدث عن الناس إلى الناس، ويأخذ من الحياة للحياة يقرؤه الناس ويسمعونه فكأنما يقرؤون

---

[26] المرجع السابق، ص 72 -73.

[27] فضل حسن عباس، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ط)، (د ت)، ص12 .

[28] عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص 48.

[29] العرابي لخضر، مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين، ص 24.

أطواء أنفسهم، ويسمعون همس ضمائرهم، ووسوسة خواطرهم، ومن هنا فهم يعيشون فيه ويحيون معه، وينتفعون به انتفاع الأرض يصوبها الغيث ... فيقع منها مواقع مختلفة، بين وديان وسهول، وجبال وقيعان، وأحراش وسهوب!.[30]

ومن المعلوم أن هناك طريقتين للأسلوب القصصي، يلتزم كاتب القصة واحدة منهما أو يلتزمهما معا، لعرض أحداث قصته، وإنطاق أشخاصها وتحريكهم. فقد يتحدث كاتب القصة بلسان أشخاص قصته، ويروي أخبارهم، وهو بذلك يكون قد فرض نفسه على أشخاص قصته، وأمسك بزمام الأحداث يحركها كيف شاء. وقد تختفي شخصية كاتب القصة تماما، فلا يبدو لها أثر في سير الأحداث وتحريك الأشخاص، وهو بذلك يكون قد ترك أشخاصه يتحدثون بألسنتهم، ويعبرون عن وجودهم.

فأي الطريقين التزم القرآن في عرض أحداثه وإنطاق أشخاصه؟

لا شك أن القصص القرآني التزم الطريقة الأولى،[31] طريقة الرواية التي تؤذنك دوما بأنك إنما تسمع أخبارا قد ذهب أشخاصها في التاريخ، وانتهى دورهم في الحياة وأنها في هذا العرض إنما هي في بعث جديد قد جاءت تسعى إليك، أو أنك في رحلة زمنية عبر القرون الماضية إليها فهي غائبة حاضرة معا، تحدثك بلسانها، وتسمعك قولها.[32]

وهذه الطريقة تليق بمقام القصص القرآني الذي يلتزم الصدق في أخباره ولا يشوبه أي لون من ألوان الخداع والتخييل[33]، فالقصص القرآني هو بعث لآثار مضت، وقص لأخبار ذهبت.[34]

ولو تأملنا النص القرآني لألفيناه قد تأسس على نوعين من القصص:

1- القصص ذو المرجعية التاريخية، وهو المتعلق بأنباء الرسل، والأقوام، والأمم الغابرة، وماكان من أمرهم في تكذيب رسل الله، وما انتهى إليه مصيرهم جراء ذلك.[35]

---

[30] عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص 73.

[31] العرابي لخضر، مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين، ص 25 -26.

[32] عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص 80.

[33] العرابي لخضر، مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين، ص 26.

[34] عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص 81.

[35] سليمان عشراتي، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ص 80.

فالقصص القرآني ينقل الحدث التاريخي بأشخاصه ومشخصاته نقلا تعجز أدوات التسجيل والمحاكاة كلها من تحقيق بعضه، بله كله.[36]

2- القصص ذو المرجعية المثلية، وهو نوع أقل تواردا من السابق، وقد ساقه القرآن على سبيل التمثيل وهو أيضا يجانس القصص التاريخي، من حيث اشتماله على مغزى وعظي، وبيانه لمآل اعتباري، ينتهي إليه الحدث القصصي، لغاية تربوية ترشيدية وكلا النوعين القصصيين يصدران من حيث الطرح، والرؤية عن واقعية لا إغراب فيها، ولا تهويم.[37]

القصة في القرآن الكريم :

وللقصة طريقتان:

1- طريقة عرض الأحداث بشكل تقريري تنتقل فيه الحكاية من مرحلة إلى مرحلة حتى تبلغ نهايتها.

2- طريقة الحوارالذي يحاول أن يمثل فيه كل طرف من أطراف القصة، ولكل بطل من أبطالها دوره الذي يعبر عنه بأسلوب واضح ويثير فيها بعض القضايا التي يقف إزاءها البطل الآخر ليعبر عن دوره بكل أمانة ووضوح.[38]

أما قيمة الطريقة الأولى، فتتمثل في ملاحقتها للقضايا الصغيرة في التاريخ، ووقوف الراوي أو الحاكي، موقف المرشد الذي يقود تفكير السامعين أو القارئين إلى النقاط الأساسية في أسلوب يقرب من التلقين الذي يراد منه تعبئة الفراغ بشكل دقيق.

وأما طريقة الحوار، فإن قيمتها هي في محاولتها تبسيط الفكرة في جميع مجالاتها، فلا يترك أي جانب خفي فيها؛ لأن كل طرف من أطراف الحوار يحاول أن يثير الجوانب التي يؤمن بها ويدافع عنها.

وهناك سمة أخرى للحوار وهي تتمثل في تجسيدها للموقف أمامك، فتشعر فيه بالحياة المتحركة التي تنتقل من موقف إلى موقف، ومن جو إلى جو، وتعيش فيها

---

(36) عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص 167.

(37) سليمان عشراتي، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ص 80.

(38) محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن قواعده. أساليبه. معطياته، دار المنصوري للنشر، قسنطينة، (د ط)، (د ت)، 17/2 -18 .

الأحداث الماضية من خلال أبطالها الذين تشعر بهم- وأنت مندمج في القصة – يتحركون أمامك في أدوارهم وأوضاعهم كما لو كنت حاضرا معهم ... ويمتد الشعور معك إلى إحساسك بالجو الذي يخيم على الموقف، وبالمعاني الخفية التي تختفي وراء الكلمات تماما، كما لو كان البطل يتحدث إليك، حيث تندمج – معه – بالإيحاء مع الكلمة، وبالإحساس الخفي مع الحركة.

ومن الطبيعي أننا لا نستطيع الحصول على أكثر هذه الجوانب في عرض القصة بالطريقة التقريرية التي تتحدث عن الموضوع بأسلوب الحكاية أو التقرير، وإن كانت قد تعطينا معرفة تفصيلية للموقف.

وربما كان هذا هو السبب في تركيز القرآن الكريم على الحوار القصصي في أكثر من موقف، وفي أكثر من قصة من أجل التأكيد على الصورة الحقيقية المتجسدة المتحركة للتاريخ الرسالي الذي يراد له أن يرتبط بالحاضر في عملية وحدة رسالية رائعة، أو للقضايا الحيوية التي يريد القرآن الكريم إثارتها في حياة الناس وتعميقها في نفوسهم.[39]

وليس من الضروري أن يوجد الحوار في كل قصة، فقد تخلو منه القصة وتمضي على أنها صورة لشخص أو رسم لحادثة، وهذا هو الغالب في القصص القصيرة.
ثم هذا هو الأمر الذي مضى عليه القرآن الكريم في كثير من قصصه الذي يقصد فيه التخويف.

لكنا – مع كل هذا- نجد كثيرا من القصص القرآني كان الحوار فيه عنصرا مهما – إن لم يكن العنصر البارز – وهو موجود على كل حال في كل قصة تعددت شخصياتها، وذلك من مثل قصة يوسف وقصة موسى في طه وقصة آدم في الأعراف، ثم في مجموعات قصص سورتي هود والشعراء وفي قصة إبراهيم في سورة مريم، وفي غيرها من القصص الذي يراد به التثبيت أو شرح مبادئ الدعوة الإسلامية .[40]

---

[39] ينظر المرجع السابق، 2/18-19.

[40] محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 3، 1965، ص301-302.

والمـتن القرآنـي يحفـل بـالحوار، فهـو يبنـي بـه المواقـف، والوقـائع ويقـرر التوجيهـات ويعرض القضايا، لذلك نراه يلقن صيغه للفواعل (الرسل) كي يتجاوزوا منطق الجحود الذي يعيق دعوتهم عن الذيوع.[41]

وموضوعات الحوار في القصص القرآني هي الموضوعات الدينية في الغالب، وهي الموضـوعات التـي بسـببها قـام بـين النبـي عليـه السـلام وقومـه جـدل عنيـف، وتلـك من أمثال الوحدانية والبعث وكون الرسل من البشر وليسوا من الملائكة وإحداث الأمور أو المعجزات الخارقة للدلالة على النبوة وغيرها.[42]

وللحوار وظيفة بنائية، تضـيء الحدث[43]، وهو فعل من الأفعال، بـه يزداد المدى النفسي عمقا، ويحتدم الصراع ويتأزم الموقف، الأمر الذي يبعث الحركة والحيوية في فنية القصة القرآنية[44]، فالعلاقة الحوارية في القصة القرآنية، تؤطر القصة، وتشيع فيها حيوية سردية، تجعل من الموضوع القصصي بنية واضحة المعالم، حيال ذهن المتلقي، يتملاها من سائر جوانبها،من خلال وظيفة الحوار الكشفية.[45]

فـالحوار هـو محـرك الأحـداث، ومصـور للشخصـيات،...ومـؤد إلـى الهـدف ومظهـر للمغزى. ولقد كان في القصة القرآنية على صور وأشكال، فقد يكون على صورة حوار ذاتي بين الشخص وعقله أو قلبه كما في قصة إبراهيم، وهو ينظر إلى الكوكب والقمر والشمس ويفـتش عـن إلهه،وقـد يكـون بـين شخصـيتين كمـا فـي حـوار إبـراهيم مـع أبيـه أو قومه، وقد يكون بين الشخصية وعنصر آخر كالجن، أو الطير أو الشيطان، وقد يكون بين الخالق والمخلوق، أو بين النبي وقومه وهكذا .

على أن هناك ملاحظة أساسية في طبيعة الحوار بمجمله وعلى مختلف ضروبه هي أنه لا يوضع على ألسنة الشخصيات، وإنما ينطلق منها انطلاقا طبيعيا أو تلقائيا دون أن

(41) سليمان عشرائي، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ص 187 .

(42) محمد احمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، ص 302.

(43) سليمان عشراتي، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ص 186 .

(44) محمد الدالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية، ص 245.

(45) سليمان عشراتي، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ص185 .

يحسن القارئ بشيء من آثار الصنعة أو التكلف[46]، لأنه كلام الله عز وجل القادر على كل شيء.

لقد كان أسلوب النبي محمد ρ في طريقة الحوار مع خصومه، مثلا رائعا على حيوية القاعدة الإسلامية في أسلوب الحوار، ومرونتها...وقد كانت مسيرة الدعوة في الممارسة الرسالية، خاضعة في خطوطها العامة والخاصة، لحركة النبي، فقد كان هو الذي يتولى عملية خلق الجو الطبيعي للحوار وإدارته، ودفع الدعوة إلى أن تتحرك في إطاره، وبذلك كانت سيرته تجسيدا عمليا لكل القواعد العامة في الفكرة والأسلوب.[47]

فالحوار عنصر أساسي من عناصر حركة العقيدة في اتجاه الكمال،...حتى في يوم القيامة، لا يقف الإنسان مكتوف اليدين أمام مصيره، بل يترك له مجال الدخول في حوار وجدال يدافع به عن نفسه على أساس من العدالة التي تحترم في الإنسان حقه الطبيعي في الدفاع عن نفسه، حتى أمام الله الذي يعلم كل شيء ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وذلك في قوله تعالى: **(يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ) النحل111.**

وخلاصة القول: إن الإسلام يريد للإنسان أن يحصل على القناعة الذاتية والمرتكزة على الحجة والبرهان في إطار الحوار الهادئ العميق سواء في ذلك قضايا العقيدة، وقضايا الحساب والمسؤولية، فلكل سؤال جواب، ولكل علامة استفهام تواجه الإنسان في الطريق علامات في كل منعطف تشير إلى سواء السبيل.

وهذا هو الأساس الإسلامي في اعتبار الحوار قاعدة أساسية في دعوته الناس إلى الإيمان بالله وعبادته.[48]

لقد ظل الخطاب القرآني يمارس فاعليته التبليغية، بمنطق توصيلي، يرتكز على عقلنة المعطيات في افتراضها،وفي طرحها، فكان له من ثمة فاعلية المحاورة، وربط الصلة الفكرية والروحية مع المتلقي،واسطة تبليغ نافذة وأساسية.[49]

---

[46] بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، ط 3، 1979، ص223.

[47] محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن الكريم قواعده .أساليبه . معطياته، 55/1 .

[48] المرجع السابق،30/1- 32.

تأخذ القصة القرآنية حيويتها، من خلال ظاهرة تعدد الأصوات التي تشكل شبكة الحوار فيها. وإذا كان منطلق الحوار مرده إلى الله، بحكم صدور الأمر بالدعوة عنه، فإن الفاعل المرسل، يظل واسطة تبليغية حوارية بين هذا المصدر الإلهي، وبين المرسل إليهم " قومه".(50)

إن الجملة في الحوار وضعت أصلا لتقال، ولينطق بها الشخوص، وليست كالمحاكاة أو الوصف أو السرد، وإنما إيقاعها من نوع مخالف يتراوح بين الطول والقصر، والإيجاز والإطناب لملاءمة الموقف الذي تقال فيه.(51)

وطريقة القرآن في تصوير الحوار تقوم على أساس الرواية، فيحكي القرآن أقوال الأشخاص ويصدرها بقوله قال أو قالا أو قالوا.

هذا التصدير يلفت ذهننا إلى أمر خاص بالحوار في القصص القرآني، هو أنه ليس من اللازم أن يقوم الحوار بين اثنين، فقد يكون بين كثرة، وكل هذه الأمور ملحوظة في القصص القرآني، فيكون الحوار بين اثنين كالحوار بين إبليس وآدم، وبين إبراهيم وأبيه وبين موسى وفرعون. ويكون بين واحد من طرف واثنين من طرف آخر، كما هو واضح في قصة موسى في سورة طه،فقد كان موسى وهارون الركن الثاني من أطراف المحاورة. وقد يكون بين واحد من طرف وجماعة من طرف آخر، كالحوار الواقع في أكثر القصص القرآني بين الرسل وأقوامهم.(52)

فالخطاب القرآني، خطاب توصيلي، لذلك كان الحوار من أبرز فعالياته التبليغية.وتواتر فعل "قال"* "قل" "قالوا" في النص القرآني ... المحيلة على المتخاطبين، دليل

---

(49) سليمان عشراتي، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ص 181.

(50) المرجع نفسه، ص184.

(51) محمد الدالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية، ص245.

(52) محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، ص 303.

* لقد وردت مادة " القول" في القرآن الكريم بصيغ صرفية مختلفة في مواضع جد متعددة، حيث ورد ذكر هذه المادة في أكثر من ألف وسبعمائة موضع ؛ ونذكر من صيغها على سبيل المثال، لا الحصر : " قال " و "قالت" و"قالا" و"قالوا" و" قلت" و" قلتم" و" أقول" و" تقول" و" تقولون" و "نقول" و"يقولون" و" قل"و" قولا" و"قولوا" و" قيل" و" يقال" . ينظر الهامش، طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص 21.

علـى أهميـة هـذه الوسـيلة التقريريـة القرآنيـة القائمـة علـى الحـوار[53]؛ لأن الحـوار في أساسه يقوم على القول والكلام والتخاطب بين المتحاورين .

إن تواتر الافتتاحات الاستفهامية في عدد من سور القرآن:

(هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ) الإنسان 01 .

(عَمَّ يَتَسَاءلُونَ (1) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيم) النبأ 01-02.

(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ)الغاشية 01.

(أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّين) الماعون 01.

ليكشف عن المنحى القرآني الحواري، في سبيل بث رسالته،وإرساء قواعدها، ذلك أن صيغة الاستفهام تقتضـي بداهـة، أن يتقرر بصددها رد،إما بواسطة المستفهم ذاتـه، أو مـن خـلال جواب الآخر، وفي كلتا الحالتين، فإن إطار المحاورة يظل ثابتا، وذلك ما كانت تجسده على نحو ما، مطالع تلك السور، بل إن نزعة الخطاب القرآني نفسها، من خلال فنية الاستطراد، والالتفات، والحذف...وغيرها هي نزعة حوارية، لما تطرحه أمام العقل من آفاق توصيلية، تستوجب يقظتـه، ونشـاطه الـواعي، من أجل إدراكها على صورتها الحق ،علـى أنـه يمكن القول نفسـه، عـن خـواتم عديد مـن السـور، بمنحاهـا الاسـتفهامي، المفتـوح علـى المحـاورة والتواصـــل[54]، مـــن ذلـــك قولـــه تعـــالى فـــي نهايـــة الأحقـــاف: **(فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ) الأحقاف 35.**

أو قولـه فـي نهايـة سـورة الملـك: **(قُـلْ أَرَأَيْـتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَـاؤُكُمْ غَـوْرًا فَمَـن يَـأْتِيكُم بِمَـاء مَّعِينٍ)الملك 30.**

أو قوله تعالى في نهاية سورة المرسلات :**(فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ) المرسلات** 50.

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن الوحي في القرآن فسينقلنا إلى مجال أكثر تعقيدا حيث تكون عملية الاتصال/الوحي بين طرفين لا ينتميان إلى نفس المرتبة الوجودية.[55] فالمتكلم الأول هو الله (قائل النص)، والمخاطَب هو محمد [56] (المستقبل الأول للنص).

---

(53) سليمان عشراتي، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ص 185.

(54) المرجع نفسه، ص 182-183.

(55) نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط6، 2005، ص3

وأصل الوحي في اللغة الإعلام والإبلاغ في خفاء، تقول وحيت إليه بالكلام، وأوحيت إليه وهو أن تكلمه بكلام تخفيه من غيره، والوحي أيضا :الإشارة في خفاء، تقول وحيت إلى فلان أحى إليه إحياء وأوحيت إليه أوحى إيحاء أشرت إليه وأومأت، ومن ذلك قولهم أوحيت إليــه أن ائتنــي أي أشــرت،[57] ومــن ذلــك قولــه تعــالى: **(فَخَــرَجَ عَلَــى قَوْمِــهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) مريم 11.**

يقـول أبـو حيـان فـي تفسـير الآيـة :أي خـرج زكريـا عليـه السـلام مـن مصـلاه على الناس يأمرهم بالصلاة إشارة، وأوحى إليهم أي أشار.[58]

إن طرفـي الاتصـال الأساسيين فـي عمليـة الـوحي النبـوي همـا الله فـي جانـب والرسـول البشرفي جانب آخر .وقد عبر القرآن عن هذا الاتصال بأنه "إلقاء " وذلك في سورة المزمل: **(إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) المزمل 5.**

الاتصـال إذن يـتم مـن خـلال "الإلقـاء" والشـفرة المسـتخدمة فـي الاتصـال هـي "القـول ". وفي آيات أخرى من القرآن تم التعبير عن "الإلقاء" بالتنزيل وعن "القول " بالكلام.

إن الطريقـة التـي تـم بهـا إلقـاء القـرآن أو تنزيلـه هـي الـوحي غيـر المباشـر عـن طريـق الرسـول الملـك الـذي يـوحي للمسـتقبل بـإذن الله مـا يشـاء، وعلـى ذلـك يمكـن أن نضـع العلاقـة على النحو التالي :[59]

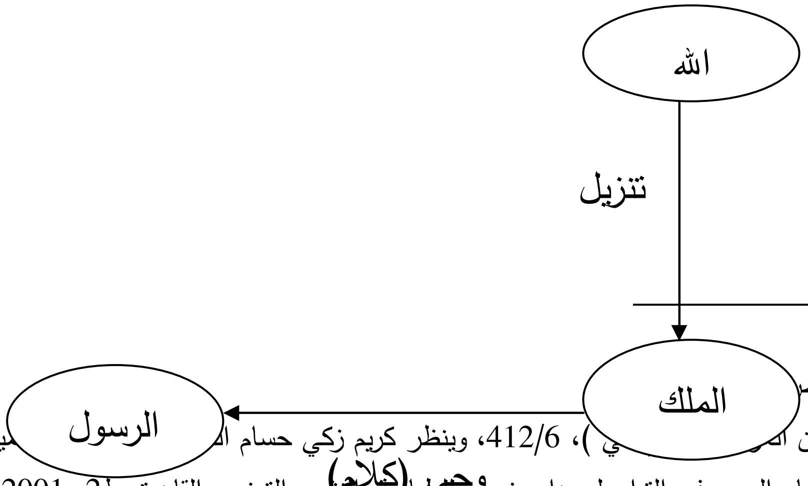

(56) المرجع نفسه، ص

(57) ابن منظور، لسان ال... ي)، 412/6، وينظر كريم زكي حسام ال... ية دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2001، ص44.

(58) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001، 167/6، وينظر كريم زكي حسام الدين، الإشارات الجسمية دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل، ص 44.

(59) نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، ص 40-41 .

والتلقـي مـن الملـك والرجـوع إلـى المـدارك البشـرية وفهمـه مـا ألقـي عليـه كلـه كأنـه في لحظـة واحدة بل أقرب من لمح البصر، لأنه ليس في زمان بل كلها تقع جميعا فيظهر كأنها سريعة، ولذلك سميت وحيا، لأن الوحي في اللغة الإسراع.

وعندما يتكرر الوحي ويكثر التلقي يسهل ذلك الاتصال، فعندما يعرج إلى المدارك البشرية يأتي على جميعها وخصوصا الأوضح منها وهو إدراك البصر.[60]

يعد مفهوم " الوحي " هو المفهوم المركزي للنص عن ذاته حيث يشير إلى نفسه بهذا الاسم في كثير من المواضع، وإذا كان ثمة أسماء أخرى للنص وردت بها الإشارة مثل القرآن والذكر والكتاب، فإن اسم "الوحي" يمكن أن يستوعبها جميعا بوصفه مفهوما دالا في الثقافة سواء قبل تشكل النص أو بعد تشكله.

إذا كان اسم "الكتاب" واسم "القرآن" من الأسماء التي تعد بمثابة الأسماء الأعلام، فإن اسم "الوحي" في دلالته على القرآن ليس كذلك، بل تتسع دلالته لتشمل كل النصوص الدينية الإسلامية وغير الإسلامية، فهو مفهوم يستوعب كل النصوص الدالة على خطاب الله للبشر، هذا من حيث الاستخدام القرآني، والاسم من جهة أخرى دال في إطار اللغة العربية قبل القرآن على كل عملية اتصال تتضمن نوعا من "الإعلام ".

وإذا كان صاحب اللسان يعدد في معاني الوحي: " الإلهام" و"الإشارة" و"الإيماء" و"الكتابة" و"الكلام"، فإن هذه المعاني كلها يستوعبها معنى "الإعلام"ويشير كل منها على حدة إلى طريقة من طرق الإعلام، فالإعلام قد يكون بالكلام وقد يكون بالكتابة وقد يكون بالإشارة والإيماء وقد يكون إلهاما .[61] وهذا يعني أن للإعلام طرقا وأساليب متعددة.

---

[60] ابن خلدون، المقدمة، ضبط وشرح وتقديم محمدالإسكندارني، دارالكتاب العربي، بيروت (د ط)، 2005، ص101 .

[61] نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، ص 31، وينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة (وحي)، 412/6 .

إن القرآن الكريم رسالة، والرسالة تمثل علاقة اتصال بين مرسل ومستقبل من خلال شفرة، أو نظام لغوي(62)، وإذا كانت الدلالة المركزية للوحي هي " الإعلام " فإن من شرط هذا الإعلام أن يكون خفيا سريا. ونستطيع أن نقول بعبارة أخرى إن الوحي علاقة اتصال بين طرفين تتضمن إعلاما –رسالة –خفيا سريا. وإذا كان "الإعلام " لا يتحقق في أي عملية اتصال إلا من خلال شفرة خاصة، فمن الضروري أن يكون مفهوم الشفرة متضمنا في مفهوم الوحي، ولابد أن تكون هذه الشفرة المستخدمة في عملية الاتصال والإعلام شفرة مشتركة بين المرسل والمستقبل، أي بين طرفي عملية الاتصال /الوحي.(63)

على أي حال،كل عمل من التواصل الكلامي يراعي متكلما يرسل خطابا أو مرسلة في اتجاه مخاطب أو متلق.(64)

لقد كان محمد صلى الله عليه وسلم المستقبل الأول للنص ومبلغه جزءا من الواقع والمجتمع(65)، إذن فمهمة المتلقي الأول نقل الرسالة وإبلاغها للناس لا مجرد تليقها والعلم بمحتواها ومضمونها .إن مجرد التلقي والعلم بالرسالة لا يتجاوز مرحلة " النبوة "، والإبلاغ هو الذي يجعل من "النبي" رسولا. **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ)المائدة 67.**

(وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ)آل عمران 20.

وكون " النص" بلاغا معناه أن المخاطَبين به هم الناس جميعا ...ومفهوم " التنزيل" هنا لابد أن يفهم بوصفه تنزيلا إلى الناس عبر وسيطين :الأول المَلَك، والوسيط الثاني محمد البشر، إنها رسالة السماء إلى الأرض، لكنها ليست رسالة مفارقة لقوانين الواقع. ويمكن أن نضع هذا التحديد للنص على الوجه التالي:(66)

---

(62) المرجع نفسه، ص24 .

(63) المرجع نفسه، ص31-32 .

(64) عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل (اقترابات لسانية للتواصلين :الشفهي والكتابي)، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د ط)، 2003، ص41.

(65) نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، ص 59 .

(66) المرجع السابق، ص56-57.

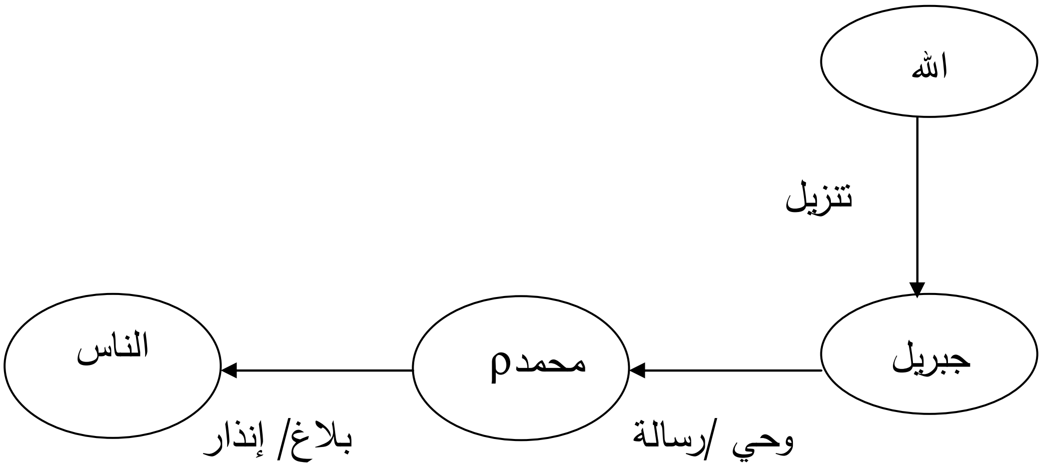

إن "النـاس" هم هدف الـوحي وغايتـه، ومـن الطبيعـي أن يكـون النص فـي هـذه الحالـة دالا، حيـث هـو رسـالة لغويـة، علـى كـل أطـراف عمليـة الاتصـال، وإذا كـان الـنص بمثابـة خطـــاب فلابـــد أن يتضـــمن دوال تـــدل علـــى المـــتكلم، وعلـــى المخاطَـــب الأول، وعلـى المخـاطَبين؛أي علـى الله، وعلـى محمـد، وعلـى النـاس. ومـع ذلـك فهـذه الـدوال لا تكـون متساويةأو متوازية سواء من حيث طبيعتها الدلالية أو من حيث نسبتها العددية.[67]

وإذا عـدنا إلـى الحـوار القرآنـي نجـده قـد اشـتمل علـى أنـواع مـن المطارحـة الحواريـة الإضـائية، حيـث صـدر عـن ثنائيـة، يتواجـه فيهـا فواعـل الموقـف الخطـابي فـي علاقـة تفاعليـة تتشكل من :

1- **المخاطِب والمخاطَب**، وقد يكون المخاطَب هو الأنا ذاته وذلك في مواقف النجوى مثل قوله تعالى على لسان هذا الفاعل المؤمن:[68]**(يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِين) يس 26-27.**

ولو تمعنا النظر في أنفسنا، سندرك كم من المرات نستخدم الاتصال الذاتي حينما نقوم بمحاسبة يوم قضيناه في العمل أو بمحاسبة أنفسنا نتيجة حديث مع شخص عزيز علينا، أو في التفكير في أمر سنتخذ فيه قرارا، أو تهيئة أنفسنا للقاء شخص مهم نطرح عليه مشكلتنا.

(67) المرجع نفسه، ص57.

(68) سليمان عشراتي، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ص 186.

إن هذا الاتصال الذاتي لا يختلف عن الاتصال بين الأفراد سوى أنه ذاتي يتم في ذواتنا كعملية اتصالية متكاملة، ونحن فيه نستخدم الرموز نفسها للاتصال بالآخرين.[69]

يتم الاتصال الذاتي بأن تقوم الحواس الإنسانية من سمع وبصر وشم وذوق ولمس باستقبال رسائل اتصالية فترسلها عبر وسيلة الاتصال الإنساني للجهاز العصبي إلى الدماغ نتيجة التفكير في موضوع أو مناقشة الأفكار مع النفس للوصول إلى قرار... في موضوع محدد فيقوم الدماغ بدوره بتعطيل وتفسير وفهم معاني هذه الرسائل عن طريق العمليات الداخلية من أسئلة واقتراحات للإنسان مع نفسه، ومن ثم الاستجابة لها بالشعور والتفكير وما إلى ذلك من استجابات عقلية أو حركية مختلفة باختلاف المثيرات أو الرسائل الاتصالية الواردة.

إن من أهم وسائل الاتصال الذاتي هي الأفكار والتفكير نفسه، حيث يقوم على ترتيب الأفكار والمعتقدات الشخصية والمعلومات المكتسبة لكي يستطيع الشخص الحصول على النتائج المتوقعة من الاتصال الذاتي، فهو خطوة أساسية في بداية أي عمل أو مشروع ناجح، فمثلا مهندس الحاسب يعتمد في الاتصال الذاتي على وسيلة التفكير حيث يقوم بتجميع كل معلوماته لتوفير المعلومات اللازمة للقيام بالبرنامج .[70]

إذن حتى الحوار الداخلي(monologue) الذي يستكن في أعماقنا يجرد للواقع في أنفسنا موقعا، نكون نحن طرفا فيه باعتبار،وأطرافه كلها باعتبار آخر، فنحن طرف من حيث إنه حوار بيننا وبين غيرنا، وإن كان في داخلنا، ونحن أطرافه كلها لأنه كان في داخلنا.ولما كانت اللغة مطواعا للخفاء والتجلي، دل ذلك على قدرتها على إعادة بناء المواقف في أنفسنا.[71]

---

[69] صالح خليل أبو أصبع، العلاقات العامة والاتصال الإنساني، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 1998، ص15-16.

[70] جمال محمد أبو شنب، نظريات الاتصال والإعلام المفاهيم، المداخل النظرية، القضايا، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، (د ط)، 2006، ص 197-199.

[71] سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال، والوظيفة، والمنهج، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2005، ص677.

لقد قلنا: إن المخاطَب قد يكون الأنا ذاته، وقد يكون المطلق أي الله مثل قوله تعالى على لسان يوسف:(**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ) يوسف101.**

وقد يكون فاعلا آخر مثل قوله على لسان موسى : (**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ)الكهف 60.**

2- **المخاطِب والمخاطَبين اثنين،**[72] مثل قوله:(**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ انَّهُ طَغَى(43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا) طه 43 ،44.**

3- **المخاطِب والمخاطَبين، جماعة:**

(وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ) الأعراف 48.

وهذه العلاقة في أحوالها المختلفة، هي علاقةجدلية،فمباشرة الحوار يمكن أن تصدر مثلاعن مخاطِب إلى مخاطَبين،أوعلى العكس،يمكن أن تصدرعن مخاطِبين إلى مخاطَب، من ذلك هذا الموقف الذي يبادر فيه رسل الله، عبده إبراهيم بالحوار[73]: (**وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ) هود 69.**

فالخطاب القرآني انطلاقا، من جدليته الخطابية هذه، يمارس أيضا حوارا ذاتيا، بقصد تبليغي موضوعي، وهو ما يجسده مثل هذا الموقف التنويري القائم على المساءلة والمجاوبة: **(هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ؟ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ)الشعراء 221-222.**

كما أن صدور الخطاب القرآني، في عمومه عن (أنا): (الله – النبي، أو المتحدث الفاعل بصورة عامة)، وتوجهه إلى (أنت) (مفردأوجمع، غائب أو حاضر، إنس أو جن...) يجسد المبدأ الحواري الذي أصلته العقيدة الإسلامية، كأخلاقية تعاملية يومية، وكفعل بنائي مستديم.[74]

وحين يتصدى الخطاب القرآني إلى محاورة المكذبين، فإنه يصطنع موقف المحاجة الجارفة، إذ يأتي الحوار أحادي (الطرف) متلاحق الصدمات، حيوي الإثارة، استفهاما،

---

(72) سليمان عشرائي، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ص186 .

(73) المرجع نفسه، ص187.

(74) المرجع السابق، ص 183 .

وتنكيرا، وتقريرا، غير متيح لردودهم أن تظهر على صعيد النص، بذلك الإلحاح الضاغط من المساءلات، ذات الإيعاز التسفيهي الجلي .

كما ينحو الخطاب أحيانا منحى سرديا، إخباريا، لكنه سرعان ما يسترجع حواريته، كشفا للموقف، أو تنويرا له من الداخل، بإيراد تصريحات (الفاعلين).[75]

فكل رغبة للتواصل الكلامي تقتضي باثا يرسل مرسله في اتجاه مرسل إليه، لكن هذا الأخير ليس ضرورة أن يكون دائما حاضرا لكنه مفترض، خاصة حين يكون الخطاب شفويا، والافتراض في هذه الحالة يكون بالنيابة المتواترة أو المتسلسلة[76]، ولذلك حين خاطب رسول الله ρ المسلمين في حجة الوداع كرر قوله –عليه السلام – " ألا هل بلغت اللهم اشهد" بعد كل نص أو مرسلة جزئية، بل حين أنهى خطبته وأجابوه بقولهم : "نعم" .قال عليه الصلاة والسلام :"فليبلغ الشاهد الغائب".[77]

ولذلك فكل مرسل إليه من الغائبين اللاحقين، يعتبر اليوم حاضرا في حجة الوداع.[78]

فعملية الاتصال– من الناحية التاريخية والسياسية – قامت عليها الجماعة الإنسانية الأولى التي خطا الإنسان بوساطتها أولى خطواته على درب الحضارة الطويل. فكان الاتصال في الجماعة الأولى وسيلة الإنسان في إشباع احتياجاته المباشرة .[79]

ومما لاشك فيه أن اللغة الإنسانية قبل أن تسجل وترسم أصواتها بأدوات في مواد بدائية هشة أو صلبة، كانت شفوية، ولذا فإن اللغة الشفوية أقدم وأسبق من اللغة المكتوبة ولا أدل على هذا من أن العديد من لغات أو لهجات العالم لم تغزها الكتابة الخطية إلى عهدنا هذا ؛ وهذا لأن الإنسان في بداية حياته يحتاج إلى التواصل مع من يحيطون به لضمان بقائه واستمراره .

---

[75] المرجع نفسه، ص188 .

[76] عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل (اقترابات لسانية للتواصليين :الشفهي والكتابي)، ص86.

[77] ابن هشام، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، (د ت)، 275/4–278، وينظر الجاحظ، البيان والتبيين، وضع حواشيه موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1998، 21/2 –23،وينظر شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي، دار المعارف، مصر، ط 6، (د ت)، ص118 .

[78] عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل (اقترابات لسانية للتواصليين :الشفهي والكتابي)، ص87.

[79] إسماعيل علي سعد، الاتصال الإنساني في الفكر الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2002، ص45.

وتـأخر اللغـة المخطوطـة عـن اللغـة المنطوقـة ظـاهرة طبيعيـة مرتبطـة بتـأخر اللغـة عن الثقافة، باعتبار أن الأولى جزء من الثانية، وليس العكس ذلك أن العادات والأعراف من زعامـة، وزواج، وحـرب، وطهـي وصـناعة، ومأكـل وملـبس...ثقافـة أولا، ولغـة ثانيـة، ولـو، اضطر الإنسان البدائي إلى اللغة المخطوطة قبل أن يضطر إلى الملفوظة لسبقت الأولى الثانيـة، لكـن اللغـة المخطوطـة ترسم الثقافـة، وتعبـر عـن الفكـر خطيـا مـن خـلال اللغـة المنطوقة.[80]

وبهذا كان للتواصل بين أبناء المجتمع الواحد طريقتان في بث الرسالة الكلامية هما: الشفاهية والكتابية، ولكل واحدة من هاتين الطريقتين، صور متعددة في البث والتلقي. أمـــا الشـــفاهية فهـــي أصـــل التواصـــل اللغـــوي تاريخـــا وواقعـــا، وربمـــا يكـــون الإنســـان قد تدرج في هذا التواصل حتى وصل إلى ابتكار أسلوب الحوار وهو ليس أسلوبا في بث الرسالة فقط، ولكنه أسلوب في تلقيها كذلك .

يقوم الحوار في أساسه على إحالات مشتركة بين المتحاورين، إحالات تعطي للكلمات دلالات موقعية خاصة، ليست لها في غير ذلك الموقع، وسبب ذلك أن (الذات) تصبح ذات رؤية حوارية، والأصل أن الواحد يعرض أحسن ما عنده، بأحسن ما يستطيع من العرض، ليتلقى أحسن ما عند الآخر. ومن هنا نشأت البلاغة، باعتبارها صورة راقية من صور التلقي ولـــذلك ســـميت (بلاغـــة) ؛لأن القـــدرة علـــى الوصـــول إلـــى الآخـــر ثمـــرة من ثمار التفكير الحواري، ولك أن تتوقف قليلا عند مصطلح (البلاغة) نفسه، لتجد فيه التلقي معبرا عن نفسه بمصدر الفعل (بلغ).[81]

وواضـح أن مشكل الاتصـال بـين النـاس غيـر المتواجـدين فـي مكـان واحـد والتفـات المجتمـع الإنسـاني إلـى حفـظ تراثـه الثقـافي، كـان مـن العوامـل التـي أوحـت إليـه إلى اختراع الكتابة.[82]

لقـد كـان اختـراع الكتابـة حـدثا مهمـا فـي إرسـال الرسـالة، ولكنـه كـان أكثـر أهميـة فـي تلقيهـا، فتـدوين الرسـالة يعنـي أنهـا مهيـأة لديمومـة التلقـي وسيرورتـه، وأنهـا مهيـأة لاطـلاع أكبـر قـدر مـن القـراء عليهـا. ومـا كـان تعلـم القـراءة إلا مـن أجـل الاطـلاع علـى المكتـوب

---

(80) عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل (اقترابات لسانية للتواصليين: الشفهي والكتابي)، ص91 .

(81) سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال، والوظيفة، والمنهج، ص 695.

(82) عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل (اقترابات لسانية للتواصلين :الشفهي والكتابي)، ص 91 .

من الكلام؛ أي من أجل تلقي كل رسالة مكتوبة، وهكذا كان اختراع الكتابة من أجل التغلب على كون المرسل واحدا قي مكان معين في وقت محدد .

وبفضل اختراع الكتابة لم يعد المتلقون كثرا فقط، بل أصبح التلقي نفسه مستمرا باستمرار بقاء الرسالة مكتوبة، ليظل بابه مفتوحا دون انقطاع، وأمكن بذلك تجاوز فردية المتلقي، إلى كثرته، ومن ثم إلى فتح باب الإمكانية العددية غير المتناهية، مادام هناك قراء يقرأونه، وبفضل اختراع الكتابة أصبح المتلقون للرسالة الواحدة في كل مكان تقرأ فيه هذه الرسالة . وبفضل ذلك أيضا لم يعد الاستقبال مقصورا على وقت بث الرسالة فزمان إرسالها واحد، وأما استقبالها ففي كل زمان، يمكن أن تقرأ فيه، حتى إنها تبقى بعد صاحبها قرونا طوالا; ليصبح كل إنسان في كل عصر مستقبلا لها، إذا كان قادرا على قراءتها، وساعدته الظروف على ذلك. وساعدت الكتابة على تيسير ترجمة التراث الإنساني، الأمر الذي أعان على بث فكر الأمم المختلفة في جميع أنحاء العالم وتلقيه، والإفادة منه في بناء وعي عالمي.(83)

إن عملية التواصل تعتمد – كما نعرف– على أربعة عناصر رئيسية : المتكلم أو المرسل، المستمع أو المستقبل، الرسالة أو المضمون الذي يرسله المتكلم ويستقبله المستمع، القناة أو الوسيلة التي تحمل الرسالة، كما تعتمد على الجانبين السلوكيين اللفظي وغير اللفظي، يتمثل الأول في الكلمات المسموعة وما يصاحبها من التعبير الصوتي، ويتمثل الثاني في الإشارات المرئية* وما يصاحبها من هيئة الجسم.(84)

وفي مجال لغة الإشارة نجدها تمكننا من القدرة على التفاهم مع الآخرين من مختلف المستويات – أجنبي، مواطن، أصم – أ بكم...– وبخاصة بعد أن اتسعت مساحة الالتقاء والتفاهم البشري، إلى درجة تحولت فيه الكرة الأرضية إلى قرية واحدة

---

(83) سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال، والوظيفة، والمنهج، ص 698 – 699 .

* برزت بواكير علم الإشارات أو "علم الحركية " منذ أواخر القرن الماضي ومطلع القرن الحالي، ولكنه لم يصل بعد إلى مرحلة النضج، أي لم تظهر بعد أصوله ولم تبرز مؤلفاته وتتداول أحكامه وقواعده...وبخاصة في المجتمع العربي، الذي جل ما عرف فيه ملاحظات عابرة وإشارات طفيفة جاءت في ثنايا بعض المؤلفات .ينظر الهامش، محمد كشاش، لغة العيون حقيقتها، مواضيعها وأغراضها، مفرداتها وألفاظها، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1999، ص154.

(84) كريم زكي حسام الدين، الإشارات الجسمية دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل، ص 10. (ينظر مقدمة الطبعة الأولى)

... ... فالإشـارات إذن هـي وسـيلة التواصـل الوحيـدة الناجحـة بـين مـن اختلفـت أجناسـهم وتباينت ألسنتهم.[85]

فالدارس لعملية التواصل يرى بشكل واضح مدى التلازم الوثيق بين هذين الجانبين، فـالمتكلم إذا نطـق متوعدا أو مهددا ارتفـع صـوته وأسـرع فـي كلماتـه وقطـب مـابين حاجبيـه، وضـم إصـبعه السـبابة مـع الإبهـام علـى شـكل دائـري ولـوح بيـده كلهـا فـي الهـواء، وإذا نطق متعجبا أو مندهشا نغم كلماته بنبرة الدهشة، ورفع حاجبيه وضرب كفا بأخرى .

إن الجسم الإنساني- الذي تضافرت على دراسته علوم كثيرة لكشف أسراره والمحافظة عليه، وتوسلت به فنون مختلفة للتعبير عن المشاعر والانفعالات المتباينة- يلعب دورا هاما فـي تحقيـق التفاعـل الاجتمـاعي الـذي يتمثـل فـي التواصـل بـين أفـراد المجتمـع، انظـر قولـه تعالى:**(وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ)المنافقون 4.**
وقولـه تعـالى: **(وَلَـوْ نَشَـاء لَأَرَيْنَـاكَهُمْ فَلَعَـرَفْتَهُم بِسِـيمَاهُمْ وَلَتَعْـرِفَنَّهُمْ فِـي لَحْـنِ الْقَـوْلِ) محمد30.**

لقـد وضـحت لنـا الآيتـان الكريمتـان وسـيلتي التخاطـب اللتـين يسـتعملهما الإنسـان للتواصل مع غيره " الإشارات الجسمية والأصوات اللغوية".

إن اللغة تتركز في جسم الإنسان الذي ينفعل كله بما يعبر عنه، فكل منا لا يتكلم فقط بلسانه وأعضاء النطق الأخرى، ولكنه يتكلم بأعضاء جسمه أيضا، إن كلا منا يشير ويلوح بيديه واعدا متوعدا، ويومئ ويلمح برأسه رافضا وموافقا، ويفتح ويزم شفتيه حزنا وفرحا، ويرمـز ويغمـز بعينيـه حبـا وبغضـا، وتتحـرك أسـارير وجهـه وعضـلاته للتعبيـر عن الحب والبغض، والإعجاب والاحتقار، والرضا والغضب، بل إننا قد نجد كلماتنا تعجز أحيانـا عـن أداء دورهـا فـي التبليـغ فتـأتي الإشـارات لجبـر هـذا الـنقص، بـل نجـدها في أحيان أخرى تنوب عن الكلمات وتقوم بدورها، بل ربما تكون أبلغ منها، ولهذا قيل: " رب إشارة أبلغ من عبارة"، كما قيل :" رب لحظ أنم من لفظ"، لأن الإنسان إذا استطاع أن يكـذب أو يخفـي مشـاعره أو نوايـاه بالكلمـات، وأن يسـيطر علـى كلماتـه فيوجههـا كما يريد، فإن الإشارات الجسمية تأتي لتكشف لنا كذب كلماته.[86]

---

(85) محمد كشاش، لغة العيون حقيقتها، مواضيعها وأغراضها، مفرداتها وألفاظها، ص 149، 151.

(86) كريم زكي حسام الدين، الإشارات الجسمية دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل، ص10-11. (ينظر مقدمة الطبعة الأولى) .

فالإشـارة تنـزل منزلـة الكـلام فـي أحـايين كثيـرة... ... وقـد اسـتعملها العـرب كما استعملوا الملفوظ والمكتوب في تعبيرهم... ... والإشارة لغة لا تقتصر في نقل الدلالات الانفعالية التي تظهر تلقائيا، بل تنقل الدلالات الخطابية التي يقصدها المرء حين يعبر عن أغراضه ومستودعات ضميره.(87)

وتعد كل من اللغة والإشارة من أهم العمليات الاتصالية الأولية في المجتمع، واللغة هي أوضح أنماط السلوك الاتصالي(88)، لأنها هي الأكثر استخداما في حياتنا اليومية .

فاللغة تهدف في أحد غاياتها إلى الاتصال والتواصل بين أفراد المجتمع اللغوي، أو بينهم وبين من يتقن لغتهم، وهو أصل ظاهر في حدها المعروف: (89) بأنه «...أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم».(90)

وقر في أذهان كثير من الباحثين أن اللغة أداة اتصال فقط، وفي هذا ما فيه من سوء فهم حقيقة اللغة، فهي ليست أداة اتصال فقط، وإن كان الاتصال واحدا من وظائفها المتعددة.

اللغة تواصل لا اتصال فقط، والفرق بينهما كبير ؛لأن الاتصال يكفي لحدوثه إرسال من طرف واحد، وليس كذلك التواصل، وإذا أضفنا إلى ذلك أن التواصل ينطوي على قدر كبير من القيم الاجتماعية والإنسانية، عرفنا أنهما مختلفان جملة وتفصيلا، ففي حياتنا اليومية قدر كبير من التصرفات والأقوال التي نعبر بها عن مشاعرنا، ونتلقى بها مشاعر الآخرين، فنعطي ونأخذ، ونرسل ونستقبل، فيكون بذلك المرسل باثا ومستقبلا، ويكون كذلك حال المستقبل، ولا تستقيم الحياة ببث من طرف واحد، بل لابد من أن نتبادل مع الآخرين مشاعرهم، وأفكارهم، واقتراحاتهم .ويكون (التواصل)لا(الاتصال) وحده سبيل ذلك، وتكون اللغة هي الأداة التي تحدث ذلك وتؤديه .

وإذا نظرنا إلى وسائل الإعلام مكتوبة ومسموعة ومرئية، فربما تخيل أحدنا أنها تستخدم اللغة في اتجاه واحد، هو البث والإرسال، مع أنها في الحقيقة لا تبث إلا ما كانت

---

(87) محمد كشاش، لغة العيون حقيقتها، مواضيعها وأغراضها، مفرداتها وألفاظها، ص 142، 143، 145.

(88) إسماعيل علي سعد، الاتصال الإنساني في الفكر الاجتماعي، ص 48 .

(89) محمد كشاش، اللغة والحواس رؤية في التواصل والتعبير بالعلامات غير اللسانية، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، ط 1، 2001، ص130.

(90) ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، (د ط)، (د ت)، 1 /33.

قد استقبلته من أخبار ومعلومات وأحداث ... فلا يستطيع أحدنا أن يتصور وجودا لوسائل الإعلام هذه، إذا لم تكن مرسلة مستقبلة.

وليس الأدب والفكر، على مافيهما من خصوصية، بعيدين عن التواصل. فالمفكر لا يرقى إلى أن يكون كذلك، حتى يقف على قدر كبير من التواصل مع المفكرين والعلماء، بل حتى يكون كذلك مع المجتمع كله، يسبر غور تصرفاته ومواقفه وعلاقاته وعاداته. وأنى يتأتى له ذلك إذا لم يكن على صلة وثيقة بهذا المجتمع؟[91]

والروائي الذي يكتب رواية يتناول فيها جانبا من الحياة، لا يهدف إلى أن يعبر عن أفكاره، ولا أن يوصلها إلى الآخرين، إنه قبل ذلك كله ينشىء صورة روائية من صور التواصل في الحياة، وعندما نقرأ هذه الرواية، فقد نعيد بناء تصورنا للواقع؛ نحاكم مواقف فنقبلها أو نردها، ونتأثر بمواقف إيجابا أو سلبا .وهذا دليل على أن هذا العمل لم يكن الهدف منه أن يصل إلينا فقط، بل كان يهدف إلى إحداث تفاعل بيننا وبينه، وهذا التفاعل من أظهر تجليات اللغة.[92]

إن الكلام المنطوق واللغة يشكلان جزءا من عملية التواصل، وهناك أجزاء أخرى للتواصل منها الجوانب اللغوية المساندة وتشتمل على النبر والتنغيم والسرعة والتوقف، ومنها الجوانب غير اللغوية، وتشتمل على الإيماءات ووضعية الجسم وتعابير الوجه والتواصل البصري وحركة الرأس والجسم، إلخ.[93]

إذن حتى استخدام الحواس والصمت هي (لغة) ووسيلة اتصال. فعالة وتدل على أشياء كثيرة قد يعجز الكلام عن التعبير عنها[94]، وذلك وفقا لمقتضى الحال، ومتطلبات الموقف الاتصالي .

فالتعبير والتواصل يأخذان أشكالا عدة، وليس وقفا على القول أو الكتابة. والمتابع للمواقف التواصلية يجد أن التعبير تم عن طريق السكوت حينا، يتجلى بوفرة في مواقف الشكر لتكاثر الإنعام والبر.

---

(91) سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال، والوظيفة، والمنهج، ص 676 -677.

(92) المرجع نفسه، ص 677 .

(93) شحدة فارع، وموسى عمايرة وآخرون، مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل للطباعة والنشر، ط 1، 2000، ص 19 .

(94) سلوى عثمان الصديقي، هنناء حافظ بدوى، أ بعاد العملية الاتصالية رؤية نظرية وعملية وواقعية، المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة، (د ط)، 1999، ص 44.

ويفصـح الإنسـان بالسـكوت عنـد السـؤال ؛فيترفـع فيـه أدبـا، ويصـون نفسـه عـن الابتـذال؛ نظـرا لمـا فيـه مـن مهانـة وذل، فالسـكوت عـن الكـلام يقـوم مقـام البيـان، ويكـون السـكوت جـوابا أيضـا فـي مقامـات السـؤال عـن الحـال، ومافيـه الإنسـان مـن أهوال...عندها يكون لسان الحال أصدق من لسان المقال، يصدقه قول الشاعر ابن جابر الضرير :

عَنْ حَالتي يا نُورَ عَيْنِي لا تَسَلْ ترْكُ الجوابِ جوابُ تلكَ المسألهْ.

و" ترك الجواب جواب"، هوفقه ما نقصد، وعين ما نريد، [95] وفي أحايين أخرى تتكلم الأفعال بدل الأقوال.*

لقد قال "فرويد " عبارة شهيرة ذات دلالة في هذا السياق:" إذا سكت الإنسان بلسانه، ثرثر بأنامله". إن تلك العبارة على الرغم من بساطتها تحمل في طياتها مضمونا لغويا ذا دلالة فهي تعني أن اللغة لا تقتصر على ما ينطق به الإنسان فقط، ليست هي فقط لغة اللفظ والكلمة والعبارة ففي الحركة لغة، وفي الإيماء لغة، وفي الإشارة لغة، بل لا نبالغ إذا قلنا أن في الصمت لغة[96]؛ فالإنسان يستخدم هاته الصور من صور التواصل مراعاة للمقام الذي يعيش ويحيا فيه .

على الرغم من أننا رأينا فيما سبق أن اللغة هي وسيلة للتفاهم والتواصل والتعبير عن العواطف والأفكار العامة، إلا أننا لا نستطيع أن نقصر معنى كلمة " لغة" على اللغة اللفظية وحدها، بل من الممكن اعتبار كل أسلوب أو وسيلة يعبر بها الفرد عن فكرة أو انفعال معين لغة أيضا . فالصورة لغة، والموسيقى لغة، والحركة لغة والإشارة لغة...إلخ.[97]

إن جسم الإنسان – الذي تضافرت على دراسته علوم كثيرة لكي تكشف أسراره وتحافظ عليه، وتوسلت به فنون مختلفة للتعبير عن المشاعر والانفعالات المتباينة– يؤدي دورا هاما في تحقيق التفاعل الاجتماعي الذي يتمثل في التواصل بين أفراد المجتمع،

---

(95) محمد كشاش، اللغة والحواس رؤية في التواصل والتعبير بالعلامات غير اللسانية، ص131– 132 .

* روي أنه لما مات الإسكندر، وقف بعض اليونانيين، فقال : قد طالما وعظنا هذا الشخص بكلامه وهو اليوم لنا بسكوته أو عظ. (ينظر الهامش، محمد كشاش، اللغة والحواس رؤية في التواصل والتعبير بالعلامات غير اللسانية، ص132).

(96) أنسي محمد أحمد قاسم، اللغة والتواصل لدى الطفل، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة، (دط)، 2002، ص27.

(97) المرجع نفسه، ص 27.

لأن كلا منا لا يتكلم بلسانه وأعضاء النطق الأخرى فقط، ولكنه يتكلم بأعضاء جسمه أيضا، فيومىء برأسه، ويغمز بعينيه، ويزم بشفتيه، ويهز منكبيه، ويشير بيديه وأصابعه، بل إننا نجد الإشارة قد تنوب أحيانا عن الكلام في بعض المواقف .

إن ظاهرة الإشارات الجسمية(gestures)وبيان دورها في التواصل لا تزال مهملة للأسف الشديد من قبل الدارسين العرب المتخصصين في الدراسات الإنسانية مثل علوم اللسانيات والنفس والاجتماع، والأنثروبولوجيا، وفي مجال الدراسات التي تهتم بفنون القول مثل الشعر والرواية والمسرح.[98]

وهكذا فالوسائل غير اللفظية، والتي يمكن أن تدل على معاني معينة لغة غير لفظية تؤدي وظائف هامة في حياة الفرد، طالما أنها تتميز بصفة التعبير. وهكذا يمكننا أن نرى أن اللغة هي كل ما يمكن أن يعبر به الإنسان عن فكرة أو انفعال أو موقف أو رغبة معينة. فالصورة لغة والأشكال المرسومة لغة، والأجسام لغة، والحركات الجسمية لغة والإشارات البصرية والسمعية لغة، والألحان والنغمات الموسيقية لغة.

فنحن نستدل على معاني كثيرة متباينة من حركات الفرد نفسه أثناء موقف ما. فالفرد من خلال حركاته يقوم بالتعبير عن فكرة أو انفعال، أي نقل ما في ذهنه وشعوره وإحساسه إلى الآخرين، وبالتالي يكون التلويح باليد للمسافر حركة ذات معنى، وإخراج اللسان حركة ذات معنى...إلخ. وبالتالي فهي لغة، ولكنها لغة غير لفظية .

إن كل أعضاء الحواس يمكن استخدامها في خلق لغة، فهناك لغة الشم ولغة البصر ولغة السمع، وهناك دائما لغة كلما قام شخصان فأضافا معنى من المعاني إلى فعل من الأفعال بطريق الاتفاق وأحدثا هذا الحدث بقصد التفاهم بينهما.[99]

لقد سبق أن ذكرت أن الكلام المنطوق واللغة يشكلان جزءا من عملية التواصل، وهناك أجزاء أخرى للتواصل منها الجوانب اللغوية المساندة، ومنها الجوانب غير اللغوية، أضف إلى هذين الجانبين هناك الجوانب الميتالغوية (ما وراء اللغة) التي تبين فاعلية التواصل، وتشتمل المهارات الميتالغوية على القدرة على التحدث عن اللغة وتحليلها وإصدار

---

[98] كريم زكي حسام الدين، الإشارات الجسمية دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل، ص 7. (ينظر مقدمة الطبعة الثانية) .

[99] أنسي محمد أحمد قاسم، اللغة والتواصل لدى الطفل، ص 27-28 .

الأحكام حول صحة أوعدم صحة كلمة أو جملة معينة فيها، وبعض هذه المهارات لا يتأتى إلا بالتعليم كتحليل الكلمة إلى أصوات لتسهيل نطقهاأوالتحدث عن اللغة باستخدام مفاهيم مجردة مثل الفاعل والمفعول به...إلخ.[100]

يعرف التواصل على أنه عملية تبادل للمعلومات[101]، وإذا لم يفسر المستقبل الرسالة فعندها نقول أن الذي حدث هو الاتصال حيث يكون الاتصال باتجاه واحد، أما التواصل فيكون باتجاهين[102]؛ المرسل والمستقبل.

من سمات التواصل إذن، أنه متعدد الجهات، متكرر الحدوث، ولهذا التكرار ما ينبئ عن حقيقة التواصل . فإن أحدنا ليقرأ القصيدة عدة مرات، وكلما فرغ من قراءتها مرة، شعر أنها أحدثت في نفسه أمرا، فهو لا يقرأها إلا من أجل أن يقف على متعة، لم يهيأ له أن يقف عليها من قبل، وأن يقع على معنى لم يكن قد انتهى إليه نظره وتفكيره في مرات سابقة .

وللتواصل قطوف هي الهدف الأساسي منه، وأهم هذه القطوف أنه يكسر الحواجز مهما تكن، ويقرب العقول مهما تناءى بعضها عن بعض، وأظهر تجليات هذا التقريب في التعليم والتعلم، وكلمة التواصل تجمع هاتين العمليتين .

والمقصود بأن التواصل يجمعهما أن عمليتي التعليم والتعلم إنما يتحقق وجودهما، في حال التواصل فقط، فإذا حدث التعليم، ولم يكن ثمة استجابة – والاستجابة صورة تواصلية – لم يحدث التعلم، ويترتب على هذا الفهم، أن يكون المتعلم أكثر من مستقبل فكل منهما مرسل ومستقبل. فالمعلم يرسل المادة التعليمية بمقدار معرفته بالمتعلمين؛ أي بمقدار ما استقبله من معلومات عن مستوياتهم العقلية، وقدراتهم في الاستيعاب، ومهاراتهم في سرعة الاستجابة والقدرة على التركيز. وبمقدار ما عرفه من مناسبة عرض المادة، وطريقة التدريس للمادة التعليمية وللمتعلمين وللموقف التعليمي.

---

(100) شحدة فارع، وموسى عمايرة وآخرون، مقدمة في اللغويات المعاصرة، ص19 .

(101) المرجع نفسه، ص 241 .

(102) حسن منسي، ديناميات الجماعة والتفاعل الصفي، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، دار طارق للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 1998، ص 99 .

والطـلاب يتقبلـون المـادة التعليميـة، وأسـلوب المعلـم، بمـا يظهـر مـنهم مـن تفاعـل مـع هذه المـادة، وذلـك الأسلوب، والتفاعل صـورة من صـور التواصـل، صـورة تسـمح بـأمور كثيـرة للمـتعلم ؛ تسـمح لـه بـأن يكـون أهـلا للتعامـل الإيجـابي مـع هـذه المـادة ؛ فيفهمهـا ويستوعبها، ويترجم إلى سلوك كل معلومة تتقبل ذلك.[103]

إن عمليـة التواصـل لا تقتصـر علـى البشـر وحدهم، فهـي عمليـة موجودة لـدى جميـع الكائنات الحية من حيوانات وحشرات وطيور. فالنحل مثلا يتواصل مع بعضـه البعض عن طريـق حركـات معينـة تحـدد بعـد الأزهـار عـن موقـع الخليـة والاتجـاه الـذي علـى بقيـة النحـل سلوكه للوصول إلى هذه الأزهار... ...وتتواصل الحيوانات الأليفة كالقطط والكلاب بطريقة محددة مع الإنسان لتعبر له عن جوعها وعطشها.

إلا أن ما يميز تواصل الإنسان عن غيره أنه أكثر أنواع التواصل تعقيدا و إبداعا، كما أن استخدام الإنسان للتواصل لا يكون بهدف تحقيق الحاجات الأساسية اللازمة لبقائه فقط كما هو الحال عند جميع الحيوانات الأخرى[104]، فالإنسان هو الكائن الحي الوحيد الذي يستعمل الرموز للدلالة على المعاني أو التعبير عن أفكاره وعواطفه.[105]

يحدث أحيانا كثيرة أن المرسل لا يكون حريصا على إقناع المستقبل برسالته، قدر حرصه على إلزام المستقبل بمضمونها.[106]

والإقنـاع هـو أحـد طرفـي العلاقـة، بـين رسـالة هادفـة إلـى توجيـه الفكـر أو الاعتقـاد، وطرفها الآخر هو الاقتناع، وهذان الطرفان متلازمان وجودا وعدما، فلا وجود للاقتناع دون وجود الإقناع،أما إذا لم يقنع المستقبل بمضمون الرسالة، فلا يصح أن نصف عمل الباث أو المرسل بأنه إقناع، حتى لو كان رأيه صحيحا.

وعليه لا اقتناع من غير إقناع، ولا يسمى الفعل مقنعا إذا لم يؤد إلى حدوث اقتناع، وهذا هو الذي جعلنا نصف هذين الأمرين بأنهما متلازمان وجودا وعدما.[107]

---

[103] سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال، و الوظيفة، والمنهج، ص 677-679 .

[104] شحدة فارع، وموسى عمايرة وآخرون، مقدمة في اللغويات المعاصرة، ص241.

[105] سلوى عثمان الصديقي، وهناء حافظ بدوى، أبعاد العلمية الاتصالية رؤية نظرية وعملية وواقعية، ص31.

[106] سمير شريف استيتيه، اللسانيات المجال، والوظيفة، والمنهج، ص 707.

[107] المرجع نفسه، ص 700-701.

وهكذا فإن اللغة والتواصل يعتبران بحق أساس الوجود الإنساني. وقد ازدادت أهمية اللغة كوسيلة للتواصل بتطور المجتمعات الإنسانية وتقدمها وازدادت حاجة الفرد للتواصل لتحقيق النجاح على كافة المستويات الشخصية والاجتماعية والمهنية[108]، كما لا يستطيع الفرد إشباع حاجاته إلا من خلال الاتصال بالأفراد الآخرين.[109]

لقد كان التواصل بالنسبة لأية لغة يمثل وظيفتها المركزية، سواء كانت هذه اللغة ملفوظة أو مخطوطة[110]، فإن عملية الاتصال تسعى لتحقيق هدف عام وهو التأثير في المستقبل حتى يتحقق المشاركة في الخبرة مع المرسل وقد ينصب هذا التأثير على أفكاره لتعديلها وتغييرها أو على اتجاهاته أو على مهاراته. [111]

وفي الأخيريمكن أن يستنتج أن الاتصال يعد ضرورة إنسانية واجتماعية، فحاجة الإنسان للاتصال لاتقل عن حاجته للأمن والغذاء والكساء والمأوى ،[112]وما إلى ذلك من ضروريات الحياة.

(108) شحدة فارع، وموسى عمايرة وآخرون، مقدمة في اللغويات المعاصرة، ص242.

(109) سلوى عثمان الصديقي، وهناء حافظ بدوى، أبعاد العملية الاتصالية رؤية نظرية وعملية وواقعية، ص 44.

(110) عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل (اقترابات لسانية للتواصلين : الشفهي والكتابي)، ص77.

(111) سلوى عثمان الصديقي، وهناء حافظ بدوى، أبعاد العملية الاتصالية رؤية نظرية وعملية وواقعية، ص19.

(112) جمال محمد أبو شنب، نظريات الاتصال والإعلام المفاهيم، المداخل النظرية، القضايا، ص 20 .

المغزى العميق من سورة الكهف:

إن الله سبحانه وتعالى قد وضع في سورة الكهف أشياء كثيرة يجب أن يقف عندها الإنسان، وقبل أن نبدأ الحديث عن هاته السورةفإننا نتوقف عند اسمها، الاسم هو سورة الكهف ما هو الكهف؟الكهف كما نعرفه هو فجوة داخلة في الجبل ولقد شاء الله سبحانه وتعالى أن يخلق في أماكن كثيرة كهوفا لنعرف ونحس ونرى ونشاهد الكهف.

إذن فالكهف هو فجوة داخلة في الجبل، هل تستطيع وأنت خارج هذه الفجوة أن تعرف ما بداخلها؟ الجواب طبعا لا. لا بد أن تبحث قليلا وتكشف حتى تصل إلى ما هو داخل هذا الكهف وتعرفه معرفة حقيقية، ومن هنا فإن اسم السورة يجب أن لا يمر علينا دون أن نفكر فيه.ونعلم أن الله سبحانه وتعالى قد جاء فيها بكهوف معنوية يعني أشياء تنبئنا بما يستتر عنا من حقائق في الكون وفي أحداثه، فمثلا نجد أن قصة موسى عليه السلام مع الخضر...هي قصة، المراد منها ألا نحكم على الأشياء بالظاهر فإغراق السفينة التي يملكها مساكين كان عملا إذا نظرنا إلى ظاهره شرا، ولكن حقيقته كانت خيرا لأنها أنقذت سفينة المساكين من ملك ظالم كان سيغتصبها.(113)

ويبدو أنه لو كانت هناك طريقة أخرى للحفاظ على السفينة من الغصب غير الخرق لسلكها الخضر، ولكنه وجد الوسيلة الوحيدة هي كسر السفينة وترقيعها، لتكون معيبة بحيث لا يمنعهم ذلك العيب من مواصلة العمل والاسترزاق بها، ويحفظها من غصب الملك، وهذا هو التصرف الحكيم(114).

وقتل الطفل ظاهره شر ولكن باطنه هو حفظ للأم والأب الصالحين ورزقهما بطفل تقي يحفظ لهما صلاحهما ... وبناء الجدار لأهل قرية من اللئام الذين رفضوا أن يطعموا شخصين غريبين جائعين، هو عمل لا يتفق مع منطق الخيرولكن الحقيقة أن هذا الجدار قد بني ليحفظ كنزا لطفلين يتيمين كان أبوهما صالحا وتوفي ليحفظ لهذين

---

(113) محمد متولي الشعراوي، معجزة القرآن ، إعداد أحمد زين، الكتاب الأول، شركة الشهاب، الجزائر، (د ط)، 1990، ص 190.

(114) إبراهيم بن عمر بيوض ، في رحاب القرآن تفسير سورة الكهف،تحرير عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، جمعية التراث ، غرداية،الجزائر،(د ط) ،1994، ص328 .

الطفلين كنزا تحت الجدار حتى يبلغ الطفلان أشدهما ويستخرجا كنزهما، ولو تهدم الجدار لأخذ أصحاب القرية من اللئام الكنزوحرم الطفلان منه.[115]

سورة الكهف من السور المكية،وعدد آياتها عشر ومائة،وهي إحدى سور خمس بدئت بـ« الحمد لله» وهذه السور هي «الفاتحة ،الأنعام،الكهف،سبأ،فاطر» وكلها تبتدئ بتمجيد الله جل وعلا وتقديسه،والاعتراف له بالعظمة والكبرياء ،والجلال والكمال. وسميت «سورة الكهف» لما فيها من المعجزة الربانية، في تلك القصة العجيبة الغريبة قصة أصحاب الكهف.[116]

لقد انفردت سورة الكهف بقصص ثلاث لم تذكر في سواها وهي قصة أهل الكهف،وقصة موسى مع العبد الصالح،وقصة ذي القرنين،والذي يبدولنا – والله أعلم بما ينزل– أن ذلك إيحاء للمسلمين ليدركوا العناصر الرئيسية التي لا بد أن تتوفر في شخصيتهم.[117]

فالقصص هو العنصر الغالب في هذه السورة،ففي أولها تجيء قصة أصحاب الكهف، الآيات:(9–25) وبعدها قصة الجنتين، الآيات:(32–44)، ثم إشارة إلى قصة آدم وإبليس، الآية:50. وفي وسطها تجيء قصة موسى مع العبد الصالح، الآيات:(60–82)، وفي نهايتها قصة ذي القرنين، الآيات:(83–98).

ويستغرق هذا القصص معظم آيات السورة، فهو وارد في إحدى وسبعين آية من عشر ومائة آية؛ ومعظم ما يتبقى من آيات السورة هو تعليق أو تعقيب على القصص فيها. وإلى جوار القصص بعض مشاهد القيامة، وبعض مشاهد الحياة التي تصور فكرة أو معنى، على طريقة القرآن في التعبير بالتصوير.[118]

فقصة أهل الكهف تمثل عنصر العبادة والعقيدة[119]، وهي قصة التضحية بالنفس في سبيل العقيدة ،وهم الفتية المؤمنون الذين خرجوا من بلادهم فرارا بدينهم، ولجأوا

---

[115] محمد متولي الشعراوي، معجزة القرآن ، ص 190–191.

[116] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الضياء، قسنطينة، ط5 ،1990،181/2.

[117] فضل حسن عباس ،القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ص 24.

[118] سيد قطب، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، بيروت، ط15،1986،2256/15–2257.

[119] فضل حسن عباس، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ص24.

إلى غار في الجبل ،ثم مكثوا فيه نياما ثلاثمائة وتسع سنين، ثم بعثهم الله بعد تلك المدة الطويلة.[120]

وقصة أصحاب الكهف استقل بها موطن قرآني واحد، في سورة قرآنية فريدة، ولم يتكرر سياقها السردي خارج ذلك الموطن، وهذا الشكل من القصص يطلق عليه اسم القصة المغلقة أو المكتملة، وقد وردت على هذا الشكل القصصي كل من قصة يوسف، وقصة سليمان والملكة بلقيس، وكذلك ما ورد في سورة الكهف من القصص، التي تتمثل في قصة أصحاب الكهف، وقصة صاحب الجنتين، وقصة ذي القرنين.فهذه القصص، المتلاحقة جميعا قصص مكتملة، مغلقة، لم نلف لها حضورا استدعائيافي سياق قرآني آخر ، باستثناء قصة موسى والعبد الصالح، التي هي قصة مفتوحة لأنها تفيدنا بجانب آخر من جوانب سيرة موسى، ووقائع حياته على أننا أيضا أدرجناها، ضمن القصص المكتمل، لفرادة موضوعها القصصي ،الذي لم يتكرر في أي موطن قرآني آخر، موجزا، أو مفصلا.[121]

إلى جانب هذا الشكل من القصة، نجد نوع آخر من أنواع البني القصصي في القرآن، الذي يمكن أن نسميه القصة المفتوحة، ونقصد بها ذلك السياق السردي المتعلق بسيرة نبي أو رسول، والمتواتر في أكثر من سورة.[122]

ولما كان أكثر ما يزلزل العقيدة في النفوس ويفسد العبادة، أمران اثنان هما: طغيان المال وإغواء الشيطان ذكرا بعد هذه القصة مباشرة ،حتى يستطيع المسلمون أن يحصنوا عقائدهم ويحافظوا على عباداتهم، فذكرت قضية المال وما يسببه من طغيان[123]، لبيان أن الحق لا يرتبط بكثرة المال والسلطان ،وإنما هو مرتبط بالعقيدة ، وهذا في قصة أصحاب الجنتين؛ فالغني مزهو بماله ،والفقير معتز بعقيدته وإيمانه، وهذا في قوله تعالى: **(وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ)الكهف32.**

(120) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير،181/2.

(121) سليمان عشراتي ،الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ص69-71.

(122) المرجع نفسه، ص 70.

(123) فضل حسن عباس، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ص 24.

وذكر الأمر الآخر، الذي يمثل مثل التكبر والغرور مصورا في حادثة امتناع إبليس عن السجود لآدم، وما ناله من الطرد والحرمان.[124]

وبعد ذلك، ذكرت قصة موسى مع الخضر. وهي قصة التواضع في سبيل طلب العلم، وما جرى من الأخبار الغيبية التي أطلع الله عليها ذلك العبد الصالح « الخضر»، ولم يعرفها موسى عليه السلام حتى أعلمه بها الخضر، كقصة السفينة، وحادثة قتل الغلام، وبناء الجدار.[125]

فهذه القصة إنما تبين عنصرا آخر لابد أن يتوفر للمسلم وهو عنصر العلم، ذلك أن العبادة دون علم لا يأمن صاحبها على نفسه من أن يضل ويطغى ، وتزل قدم بعد ثبوتها.[126]

أما القصة الأخيرة في سورة الكهف فهي قصة ذي القرنين؛وهو ملك مكن الله تعالى له بالتقوى والعدل أن يبسط سلطانه على المعمورة ،وأن يملك مشارق الأرض ومغاربها، وماكان من أمره في بناء السد العظيم.[127]

فهذه القصة تمثل عنصرا آخر في حياة المسلمين، وهو عنصر الجهاد، وهكذا رأينا هذه السورة الكريمة تحدثنا عن القضايا الأساسية التي لا بد للمسلمين منها: العقيدة والعلم والجهاد.[128]

أما المحور الموضوعي للسورة الذي ترتبط به موضوعاتها ، ويدور حوله سياقها، فهو تصحيح العقيدة وتصحيح منهج النظر والفكر. وتصحيح القيم بميزان هذه العقيدة.

فأما تصحيح العقيدة فيقرره بدؤها وختامها.

في البدء:(**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا(1) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا**

---

[124] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، 181/2.

[125] المرجع نفسه، 181/2.

[126] فضل حسن عباس، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ص 24-25.

[127] محمد علي الصابوني ،صفوة التفاسير،181/2.

[128] فضل حسن عباس، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ص 25.

حَسَنًا(2) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا(3)وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا(4) مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا) الكهف 1-5.

وفي الختام:(**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) الكهف 110.**

وهكذا يتساوق البدء والختام في إعلان الوحدانية وإنكار الشرك، وإثبات الوحي، والتمييز المطلق بين الذات الإلهية وذوات الحوادث.

أما تصحيح منهج الفكر والنظر فيتجلى في استنكار دعاوى المشركين الذين يقولون ما ليس لهم به علم، والذين لا يأتون على ما يقولون ببرهان. وفي توجيه الإنسان إلى أن يحكم بما يعلم ولا يتعداه، ومالا علم له به فليدع أمره إلى الله.

ففي مطلع السورة: (**وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا(4) مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ) الكهف 4-5.**

والفتية أصحاب الكهف يقولون: (**هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ) الكهف15.**

فأما تصحيح القيم بميزان العقيدة، فيرد في مواضع متفرقة، حيث يرد القيم الحقيقية إلى الإيمان والعمل الصالح، ويصغر ما عداها من القيم الأرضية الدنيوية التي تبهر الأنظار.

فكل ما على الأرض من زينة إنما جعل للابتلاء والاختبار، ونهايته إلى فناء وزوال:[129]

(إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا(7)وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا) الكهف 7-8.

إذن فالله يريد أن يخبرنا في هذه السورة بحقائق مستورة عنا قد لا يصل إليها العقل البشري، وهو يريد أن يخبرنا أيضا ألا نأخذ الأشياء بظاهر الأمور فالذي يبدو لنا شرا قد يكون في قضاء الله خيرا، والعكس صحيح.[130]

---

[129] سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 2257/15 – 2258.

[130] محمد متولي الشعراوي ، معجزة القرآن ، ص 191.

الفــــصـــــل الأول

القصة في القرآن الكريم وخصائصها الفنية

المبحث الأول : مفهوم القصة في القرآن .

المبحث الثاني : الخصائص الفنية العامة للقصة القرآنية .

المبحث الثالث :عناصر الحوار في القصة القرآنية.

من النماذج الأدبية الرفيعة التي تجلت بوضوح في القرآن الكريم، تلك الآيات الواردة فيه على سبيل القصص، التي جاءت لتسهم بدورها فيما يهدف القرآن من التوجيه والإرشاد إلى خيري الدنيا والآخرة، بما فيها من العبرة والعظة، وليكون فيها – أيضا– خير معين ومواس للرسول العظيم، الذي يجابه قوى البغي والشرك، فيثبت ويصبر كما ثبت وصبر أولو العزم من الرسل، وهذا مصداق قوله تعالى : **(وَكُـلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)هود**120.

والقصص القرآني ليس عملا فنيا مستقلا في موضوعه، وطريقة عرضه، وإدارة حوادثه، كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة، التي ترمي إلى أداء غرض فني مجرد؛ بل كانت القصة القرآنية وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى تحقيق هدفه الأصيل؛... شأنها في ذلك شأن الصور القرآنية الأخرى، والغريب العجيب في هذا القصص أن التعبير القرآني ألف فيه بإبداع لا حد له بين الغرض الديني والغرض الفني معا، وجعل من الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية.(1)

وإذا حاولنا أن نقف على تلك الصورة التي كان يتصور بها الأقدمون من علماء البلاغة والنقد الأدبي القصة الفنية فنعجز، ويرجع هذا العجز إلى أن هؤلاء العلماء لم يلتفتوا إلى هذه القصة على أنها لون من ألوان الفنون والآداب، فضلا عن الوقوف عندها لبحثها ودرسها وتقعيد قواعدها، ومن هنا جاءت كتبهم خالية من أي حديث عن القصة حتى ذلك الحديث الذي يحددها ويعرف بها.(2)

إن المساحة التي شغلتها القصة القرآنية من كتاب الله كانت مساحة واسعة، ما نظن أن موضوعا آخر كان له ما كان للقصة من نصيب ؛ فالقصص القرآني لا يقل الحيز الذي شغله من كتاب الله تعالى عن الربع إن لم يزد قليلا، فإذا كان القرآن ثلاثين جزءا؛ فإن القصص يبلغ قرابة الثمانية أجزاء من هذا الكتاب الخالد، وإذا كان المصحف الذي بين يديك

(1) صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط1، 1995، ص90-91.

(2) محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، ص116.

يبلغ ثمانمائة صحيفة فإنك تجد أن القصص يشغل منه ما يزيد عن المئتين ولا تعجب من ذلك؛ لأن القصة القرآنية لم تأت لتقرر هدفا واحدا؛ بل إن هذا القصص كانت له أهدافه وغاياته المتعددة ؛ فعلى سبيل الإجمال يهدف القصص القرآني إلى تربية نوع الإنسان تربية تضمن له خير المسالك ليتبوأ أفضل المدن والممالك، وتحول بينه وبين المنزلقات والمهالك.(3)

والقصة في القرآن الكريم تهدف إلى بلوغ غايات دينية أساسا، منها : إثبات الوحي والرسالة، وتتميز قصص القرآن بالإيجاز الشديد ؛ نظرا لأنها ليست مقصودة لذاتها، أي أنها تروى كحادثة وقعت، ومن ثم ينبغي بيان دقائقها وتفاصيلها، وأين وقعت وكيف؟ ومن الذي اشترك في أحداثها؟ إلى غير ذلك مما يستلزمه الفن القصصي، وإنما القصة القرآنية تهدف إلى العبرة، والتذكير، والتعليم، والتأويل؛ ولذلك فإنها لا تعنى بذكر الأشخاص، ولا الأماكن ولا الزمان الذي وقعت فيه الأحداث، كما أنها تقتصر على الأحداث الرئيسية دون الدخول في التفاصيل، بل وقد تتجاوز عن بعض الأحداث الرئيسية عمدا، تاركة لمن يستمع إليها أو يقرأها الفرصة لإعمال خياله واستخدام فكره لتصور ما حدث، وغالبا ما تكون هذه الأحداث أو التفاصيل غير هامة لبلوغ الغرض من القصة.

إن القصص العربي في الجاهلية يختلف كل الاختلاف عن قصص القرآن، سواء من حيث الأسلوب والأهداف والمرامي، أو من حيث بعده عن الخيال وخلوه من المبالغة والتهويل، فمن يقرأه يلمس إلى أي مدى أغرق في الخيال وامتلأ بالمبالغة والتهويل، وهو ما يخلو منه القصص القرآني.(4)

والقصص القرآني كله عرض لأحداث تاريخية مضى بها الزمن ، فهو – والأمر كذلك – وثيقة تاريخية من أوثق مابين يدي التاريخ من وثائق، فيما جاء فيه من أشخاص وأحداث، وما يتصل بالأشخاص والأحداث من أمكنة وأزمنة.

(3) فضل حسن عباس، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ص10.

(4) أحمد علي المجدوب، أهل الكهف في التوراة والإنجيل والقرآن، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط3، 1998، ص23-25.

فالقصة القرآنية بنيت بناء محكما من لبنات الحقيقة المطلقة، التي لا يطوف بحماها طائف من خيال، ولا يطرقها طارق منه ثم هي مع هذا " قصة " حيث سمى القرآن كل ما جاء على هذا النحو قصصا، فقال تعالى مخاطبا النبيρ :(**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) يوسف** 3 .

وقال جل وعلا: (**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ) آل عمران** 62.

هكذا أطلق القرآن لفظ القصص على ما حدث به من أخبار القرون الأولى، في مجال الرسالات السماوية، وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال، وبين مواكب النور وجحافل الظلام.[5]

والذي يتتبع القصص القرآني يجد أن أحداثه كلها تقريبا تدور في محيط الدعوة إلى الله، وإلى تحرير العقيدة وتصفيتها من العبودية لغير الله، وتوجيهها إلى عبادة الإله الواحد الخالق، رب العالمين ولذلك كانت دعوات الأنبياء هي الشخصية الغالبة في القصص القرآني بحيث ساغ أن يسمى القصص باسم صاحب الدعوة فيقال: قصة يوسف، وقصة موسى، وقصة يونس، وقصة هود، ونوح، وصالح، وآدم ... وهكذا...[6]

---

[5] عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف،ص39-40.
[6] المرجع نفسه، ص43.

المبحث الأول: مفهوم القصة في القرآن:

إذا كان القرآن قد سمى الأحداث والوقائع قصصا، فهل هذه التسمية تتلاقى مع المفهوم الاصطلاحي، ومع المحتوى الفني للقصة، كما تعرف في الآداب الإنسانية قديما وحديثا ؟

إن المعاني التي وقف عندها علماء اللغة أثناء حديثهم عن مادة " ق ص ص" كثيرة، ونحن حين ننظر في المعنى اللغوي للقصة نرى أن أصل اشتقاقها يتلاقى مع المفهوم الذي قام عليه أصل التسمية للقصص القرآني[7]، فلفظة القصة جاءت على وزن "فعلة"[8] وهي مشتقة من القص وهو تتبع الأثر.[9]

لقد أشرنا سابقا أن مادة "قص" في المعاجم تدور حول الاتباع أو الخبر أو الحديث، أما في كتب التفسير فتخطو المسألة خطوة إلى الأمام، ذلك لأنهم ينظرون إلى المسألة باعتبارين :اعتبار لغوي، يعتمد ون فيه على ذلك الحصيل اللغوي الذي صورنا لك طرفا منه، واعتبار ديني ينظرون فيه من وجهة نظر خاصة هي قصد القرآن الكريم من قصصه أو أهدافه التي يرمي إليها.[10]

ولقد استعمل القرآن الكريم كلمة " قص" في عدة آيات، قال تعالى:

(ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ) هود 100.

(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) يوسف 3.

(لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ) يوسف 5.

(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ)الكهف 13.

(فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا) الكهف 64.

(وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) القصص 11.

فلو عدنا إلى كتب التفسير القديمة منها والحديثة نتصفحها، لوجدناها شبه متفقة على المدلول اللغوي لكلمة "قص" الواردة في القرآن. ففي الآية الأولى، تعني: تتبعي آثاره لتعلمي كيف انتهى أمره، وفي الآية الثانية، تعني: عادا يتتبعان آثارهما إلى المكان الذي انطلقا منه. وفي الآية الثالثة تعني أن الله هو الذي يبين أحسن البيان، وفي الآية الرابعة والخامسة والسادسة، تعني: الحكاية عن خبر وقع في زمن مضى وانتهى.

[7] المرجع السابق، ص44.
[8] العرابي لخضر، مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين، ص13.
[9] عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص44.
[10] محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، ص118.

إن كلمة "القص" الواردة في القرآن الكريم، تتفق والمعنى اللغوي الذي كان متداولا بين العرب أنذاك، والذي تناقلته جل معاجم اللغة العربية، فهكذا يتلاقى المعنى اللغوي، مع المفهوم الذي يحتوي عليه أصل التسمية للقصص القرآني. وذلك على الرغم من أن لفظة "القصة" لم ترد في القرآن الكريم ؛ وإنما الذي ورد فيه هو لفظ" القصص" – بفتح القاف– والذي يغلب عليه طابع الرواية الشفوية.

ومن منطلق هذه الآيات، يتبين لنا أن الاشتقاق اللغوي لكلمة القصة أو القصص الواردة في القرآن الكريم [11]، يعني الكشف عن «آثار، وتنقيب عن أحداث، نسيها الناس أو غفلوا عنها، وغاية ما يراد بهذا الكشف هو إعادة عرضها من جديد لتذكير الناس بها، وإلفاتهم إليها، ليكون لهم منها عبرة وموعظة، هكذا كان القصص القرآني، ولهذا جاء». [12]

وذلك مصداقا لقوله تعالى :(**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يوسف** 111.

وهناك من فسر القصص بالبيان:في قوله تعالى:(**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) يوسف 3**. أي نبين لك أحسن البيان، وإذا أخذنا في حسباننا بأن القصة أداة يبين فيها القاص عن غرض أو غاية في نفسه، أو منهج ينتهجه للناس لكي يخلصهم من ظلم أو يرفع حيفا أو يحارب عادة فاسدة أو سلوكا سيئا، فإننا نجد هذا المعنى أو نحوه يرسو في القصة الفنية في القرآن الكريم.

وأزعم أن الله قد وصف قصة يوسف بـ" أحسن القصص"؛ لأنها عبدت للناس طرقا وشقت لهم مناهج يسلكونها في حياتهم،منها ما يتعلق بالتربية ومنها ما يتعلق بالاقتصاد،ومنها ما يتعلق بحسن التصرف في الأزمات...ومنها ما يتعلق بمفهوم العفة كيف تكون، ومنها الكثير والكثير من أمور الحياة. [13]

(11) العرابي لخضر، مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين، ص15-17.
(12) عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص48.
(13) خالد أحمد أبو جندي، الجانب الفني في القصة القرآنية – منهجها وأسس بنائها- (نظرية بناء القصة الفنية في القرآن الكريم)، ص130.

وهناك من الباحثين من يرى في معنى "أحسن القصص" أن قصة يوسف قصة متكاملة، وقد اشتملت على كل فنيات القصة وعناصرها من شخصيات ومكان وزمان وعقدة وحل ... [14]

ونرى – كذلك– أن القرآن الكريم قد أطلق لفظ القصص على كل ما ورد فيه من أنباء القرون الغابرة، مصورا ما كان يقع من صراع بين قوى الخير والشر[15]، وعليه فإن القصة في القرآن إنما تتبع أحداثا ماضية واقعة، وتعرض منها ما ترى عرضه! ومن هنا كانت تسمية الأخبار التي جاء بها القرآن قصصا، مما يدخل في المعنى العام لكلمة خبر أو نبأ وقد استعمل القرآن الكريم الخبر والنبأ بمعنى التحدث عن الماضي، وإن كان قد فرق بينهما في المجال الذي استعملا فيه، جريا على ما قام عليه نظمه من دقة وإحكام وإعجاز .

فاستعمل النبأ والأنباء في الإخبار عن الأحداث البعيدة، زمانا أو مكانا، ولفها في أطوائه ، على حين أنه استعمل الخبر والأخبار في الكشف عن الوقائع القريبة العهد بالوقوع، أو التي لا تزال مشاهدها قائمة ماثلة للعيان.

ففي النبإ والأنباء يقول الله تعالى، في أصحاب الكهف[16]:(**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ**)**الكهف** 13.

فتقديم الضمير "نحن"، ضمير المعظم نفسه، وهو الله سبحانه وتعالى، فهو القاص، والمخاطب هو الرسول (ص)، ومنه إلى أمته، وهذا يدل على الحصر كما هو معروف عند أهل العربية، فإن شئت النبأ الحقيقي فهو عندنا، وكل ما كان من عند غير الله فهو باطل.[17]

ويقول سبحانه في شأن الأمم الماضية وما وقع فيها من مثلات[18] :(**ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ**) **هود**100.

---

(14) بلقاسم دفة، بنية الخطاب السردي في سورة يوسف دراسة سيميائية، مجلة المصطلح، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، العدد 5، 2007، ص88-91.
(15) العرابي لخضر، مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين، ص18.
(16) عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، ص45.
(17) إبراهيم بن عمر بيوض، في رحاب القرآن تفسير سورة الكهف، ص95.
(18) عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص45.

والقائم : الزرع المستقل على سوقه، والحصيد : الزرع المحصود... وكلاهما مشبه به للباقي من القرى والعافي، والمراد بالقائم ما كان من القرى التي قصها الله في القرآن قرى قائما بعضها، كآثار بلد فرعون ،كالأهرام وبلهوبه (وهو المعروف بأبي الهول)، ...وقرى بائدة مثل ديار عاد، وقرى قوم لوط، ...وليس المراد القرى المذكورة في السورة (سورة هود).[19]

ويقول سبحانه فيما يقص على نبيه من قصص الأولين[20]:(**تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا**)هود 49.

وأنباء الغيب الأخبار المغيبة عن الناس أو عن فريق منهم، فهذه الأنباء مغيبة بالنسبة للعرب كلهم لعدم علمهم بأكثر من مجملاتها.[21]

وفي الخبر والأخبار يقول سبحانه مخاطبا المؤمنين (**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ ونبلوا أَخْبَارَكُمْ**) **محمد**31.

ويقول جل شأنه فيما يكون من أحداث يوم القيامة:(**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أخبارها(4) بأن رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا) الزلزلة** 4-5.

والتحديث بالأخبار إنما يكون في هذا الوقت الذي تقوم فيه الساعة.

وانظر في قوله تعالى: (**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ**) **الكهف** 13.

نجد أن القصص القرآني إنما هو من قبيل الأنباء أي الأخبار التي بعد الزمن بها، واندثرت أو كادت تندثر؛ ولهذا سماها القرآن: من أنباء الغيب.[22]

ومن هنا نخلص إلى القول بأن القصص القرآني هو أنباء وأخبار تاريخية، لم يختلط به شيء من الخيال، ولم يدخل عليه شيء من الزيف، بله الواقع الذي لم تشبه شائبة من الوهم، ورغم قيامه على الحقائق التاريخية المطلقة، فإنه قد اشتمل على عنصر الإثارة والتشويق، الأمر الذي لا نجده في غيره من القصص البشري.[23]

---

(19) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (د ط)، 1984، 158/12.
(20) عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص45.
(21) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 92/12.
(22) عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص45-46.
(23) العرابي لخضر، مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين، ص19.

فهو – والأمر كذلك – وثيقة تاريخية من أوثق ما بين يدي التاريخ من وثائق، فيما جاء فيه من أشخاص وأحداث، وما يتصل بالأشخاص والأحداث من أمكنة وأزمنة.[24]

وينبغي الإشارة أيضا إلى أن هناك بعض الاعتراضات على القصص القرآني، بأنه سجل الأحداث الواقعة، وأنه صورها كما هي من غير زيادة أو نقصان، ولم يدخل عليها شيئا من التحويل أو التحوير، وترتكز هذه الاعتراضات والتمويهات على استحالة نقل أو تسجيل أي حدث بجميع ملابساته وجزئياته؛ فلو حصل ذلك –على استحالته – لكان نوعا من اللغو الذي يؤدي الى السآمة والملل.

وإذا كان نقل الحدث نقلا كاملا يعتبر أمرا مستحيلا، فهذا يعني أن القصص القرآني أخذ من أحداث الماضي ما كانت له دلالة واضحة، وأهمل الباقي، وإذا كان الأمر كذلك،فإن القصص القرآني لم يأت بأحداث الماضي كلها وبجميع ملابساتها، بل أخذ بعضا منها وترك بعضا آخر، وهذا يعني أيضا أن هناك اختلافا بين القصص القرآني وبين الواقع، لأنه قد تصرف في أحداثه كما يتصرف القاص في أحداث قصته، أو الروائي في روايته، وهذا مفاده أن أخبار القصص القرآني ليست الواقع كما وقع.[25]

ويستدل أصحاب هذه الاعتراضات على أن القصص القرآني، لم يقف عند حدود الواقع، بل تصرف فيه لكي يجعل منه قصصا فنيا، بما يوجد فيه من صور مختلفة، ومتعددة للحادثة الواحدة، إذ يعرضها بأساليب متباينة ومختلفة، واستشهدوا على ذلك بظاهرة التكرار.[26]

والحق أن هذه الاعتراضات كلها مما حكات، وتلبيسات متهافتة، لا تقوم على أساس من الحجة الواضحة، والمنطق المستقيم.

فالقول بأن القصص القرآني لم يحمل في أطوائه الأحداث التي جاء بها متلبسة بكل ما صحبها من صور وأشكال ساكنة ومتحركة، في مجال الزمان والمكان على السواء

---

(24) عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص39.
(25) المرجع نفسه، ص49-52، وينظر العرابي لخضر، مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين، ص20-21.
(26) محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، ص32-34، وينظر العرابي لخضر، مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين، ص21.

– هذا القول– مع تسليمنا به – لا تقوم منه حجة أبدا، على أن القصص القرآني قد بعد عن الواقع في قليل أو كثير.

ذلك أن الحياة كلها بأزمنتها وأمكنتها، وأشخاصها وأحداثها، حاضرة... كلها بين يدي الحكيم الخبير، الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.(27)

وهذا القصص الذي جاء به القرآن الكريم لم يكن تأريخا للحياة كلها وأحداثها، وإنما هو عرض لبعض المواقف، وكشف عن بعض الأحداث التي من شأنها أن تحدث في النفس أثرا، وتقيم في الضمير وازعا، وتفتح العقل والقلب على مواقع مائلة للعبرة والعظة.

ومن الحجج التي يمكن الاتكاء عليها أيضا،لرد هذه الاعتراضات، أن القصص القرآني لا يمسك بالأحداث الواقعة في الحياة كلها، وإنما يمسك من الأحداث والوقائع، بما يراه مجليا عن عبرة، كاشفا عن عظة، لتنتفع بها الدعوة الإسلامية في مقام الدعوة إلى الله، والإنابة إليه ولا يعنيه أن يكون الحدث مدويا صارخا، أو مزلزلا عاتيا بقدر ما تعنيه الدلالة التي يدل عليها، والعظة التي ينطوي عليها،ولاشك أن هذه الأحداث والوقائع التي يقتطعها القصص القرآني من "شريط " الحياة هي الصدق الخالص والحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ... يقتطعها القرآن زمانا ومكانا وأشخاصا وملابسات، ثم ينفخ فيها نفخة الحياة فتبعث من مرقدها، وقد تساقط منها ما جف من أوراقها وما ذبل من أغصانها، وإذا هي ثمر طيب، داني القطوف، تأخذه العين وتشتهيه النفس! (28)

وبعدما يتساءل عبد الكريم الخطيب عن سر عدم إطلاق اسم الحكاية على القصص القرآني، على الرغم من أن الحكاية أقر ب إلى موضوع هذا القصص لاسيما وأن كلمة "القصص " بمفهومها المطلق توحي بأن شيئا من الخيال قد اختلط به،على العكس من لفظ "الحكاية" الذي يدل على محاكاة مماثلة للماضي وأحداثه، من غير أن يزيد على ذلك شيئا(29)، فبعد هذا التساؤل يجيب بأن «عرض القرآن للأحداث الماضية ليس محاكاة لها،

---

(27) عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص68.
(28) المرجع نفسه، ص68-69.
(29) العرابي لخضر، مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين، ص24- 25.

ولا تمثيلا لشخوصها ومشاهدها، وإنما هو بعث لها، وإعادة لوجودها، في النظم المعجز الذي ينقل إلينا الماضي أو ينقلنا إليه، فنطالع هناك وجود الحياة، في زمانها ومكانها، حتى لكأننا أبناء هذه القطعة أو القطع من الزمن وأهله، كما سنرى ذلك عند النظر في بعض الصور من هذا القصص !فكان لفظ القصص، أو القص أنسب لفظ يطلق على تلك الأنباء التي عرضها القرآن، إذ أن ذلك أشبه بقص أثر الشيء وتتبعه، ثم الوقوف عليه بذاته، لا على صورته أو ما يشبه صورته».[30]

لقد التزم القصص القرآني الصدق في أخباره، وحرص على تصفية الأحداث التاريخية من كل الشوائب، وابتعد عن كل ما يعرض وقائعه للشك والارتياب[31]؛ ذلك أن أسلوب "الرواية" الذي التزمه يقيم مشاعر الإنسان وأحاسيسه مع الأحداث التي تروى على مقام واحد منها،وهو أنه إنما يسمع أخبارا،وأن هذه الأخبار تجيء من جهة عالية عالمة، وسع علمها ما تحوي الأزمنة والأمكنة،أما أسلوب " الحضور" فإنه يقيم النفس من أول الأمر على شعور غير هذا الشعور، وهو أن الإنسان إنما يشهد ويسمع أشباحا تلبس الأشخاص والأحداث،وتتحدث بأسمائها وتنطق بلسانها،وتمثل على الحياة دورهاوإذ كان الناس متهمين بالخداع وبالكذب – من حيث هم ناس – فيكيف بهذه الأشباح التي يخلقها الكاتب القصصي لها فينطقها باسمها، ويمثل بها دورها الذي كان لها في الأحداث التي يعرضها؟.[32]

إن التزام القصص القرآني الأسلوب الغيبي في عرض أحداثه ووقائعه يكشف لنا عن: أن أسلوب الرواية لا يمكن أن ينفذ منه إلى النفس البشرية إلا أمر واحد، وهو الشك في أمانة وصدق ناقل الخبر نفسه، وهذا محال في حق الله الذي تنزهت أخباره عن الشك والارتياب .

أما أسلوب الحضور، فتتسرب منه إلى النفس نوازع كثيرة، وشكوك مختلفة، وذلك بسبب إبدال أشخاص الحدث التاريخي من قبل الكاتب، والنطق بألسنتهم، والتحرك

(30) عبد الكريم الخطيب، االقصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص49.
(31) العرابي لخضر، مفهوم القصة القرآنية وأعراضها عند السابقين والمعاصرين، ص27.
(32) عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص81.

في الحياة باسمهم، وهكذا يبدو أن الذي يجوز لنفسه إبدال أشخاص الحدث التاريخي – مهما كانوا فضلاء أمناء في أنفسهم – أفلا يجوز له أن يحرك ألسنتهم بما لم تنطق به أفواههم ؟ والملاحظ أن الذين تعرضوا بالدرس لمفهوم القصة القرآنية انقسموا على أنفسهم قسمين؛ وكانوا في ذلك فريقين، فريق يرى بأن القصص القرآني هو ما اشتمل على أنباء وأخبار القرون التي رحلت مع الزمن، وفريق آخر يرى عكس ذلك، فيعتبر كل الحوادث الدائرة في محيط الدعوة الإسلامية من القصص القرآني.(33)

فعلى الرغم من ورود بعض الأحداث في القرآن الكريم، تتحدث عن الوقائع الدائرة في محيط الحياة الإسلامية إبان نزول القرآن كغزوة بدر وأحد وحنين، وحديث الإفك، أو تخبر عن أحداث ووقائع مستقبلة،كإخباره عن انهزام الفرس أمام الروم* بعد بضع سنين، وعن هزيمة قريش يوم بدر، وعن فتح مكة.(34) فهذه الأحداث كلها تحدث عنها القرآن، وكشف عن وجهها من قبل أن تقع، فجاءت على الوجه الذي صورها به، دون أن تفقد لمحة واحدة من ملامحها،... ... ولم يسمها القرآن قصصا، لأن القصص – كما قلنا – تتبع للآثار الماضية، والتفات إلى ما وراء، لا نظر إلى قدام ! ثم ليس القصص مجرد أحداث تروى، وإنما هو أحداث تتفاعل وتتحرك، وتلد عظات وعبرا وليس كذلك الشأن في الأحداث القائمة أو المستقبلة التي يكشف القرآن عن وجهها، إذ أن أهم ما فيها هو هذا الكشف، الذي يتم بمجرد نزول الآية أو الآيات المتعلقة بها هذه الأحداث.(35)

وما يمكن أن نشير إليه أن هناك من يرفض تسمية الأحداث الواقعة أو المستقبلة الواردة في القرآن قصصا، ويتكئ أصحاب هذا الرأي على بعض الحجج الدامغة، كالاشتقاق اللغوي للقصة أو القصص، الذي يعني – كما رأينا – البحث عن الآثار وتتبع الأخبار الماضية؛ثم إن القرآن نفسه لم يسم هذه الأخبار التي تتعلق بواقع الحال، أو بتوقعات المستقبل قصصا ؛ وكذلك ليست القصة مجرد أحداث تروى، وإنما

(33) العرابي لخضر، مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين، ص28.
*(الم(1) غُلِبَتِ الرُّومُ(2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) الروم 1- 3.
(34) العرابي لخضر، مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين، ص32.
(35)عبد الكريم الخطيب،القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص47-48.

هـي أحـداث ووقـائع تتفاعـل وتتحـرك مـن أجـل أن تلـد العظـات والعبـر فـي نفس السـامع أو القـارئ، ولـيس ذلـك مـن شـأن الأحـداث القائمـة أو المسـتقبلة، وبهذا تكـون كـل الأحـداث الدائرة فـي محيط الدعوة الإسـلامية والمستقبلة بعيدة عن الأسلوب القصصـي الذي اعتمـده القرآن.

أمـا أصـحاب الـرأي الثـاني فيجعلـون أحـداث الحاضـر والمسـتقبل، ضـمن القصـص القرآنـي، فليس لهم فـي ذلك حجـة قويـة تسندهم، بل أدخلوها هكذا، من غيـر أن يعللوا رأيهم الذي يذهبون إليه.

فـإذا كـان الأمـر كمـا يزعم هـؤلاء، فـإن القرآن كلـه يكـون قصصـا، وهـذا غيـر صـحيح، لأن القرآن ليس كتاب قصص في أصله.(36)

ومـا ينبغـي الإشـارة إليـه، أن القصـص الأدبـي لا يحسـن إلا إذا امتزجـت فيـه الحقيقـة بالخيـال،ولا يحلـو إلا بالإغراق،ولايعـذب إلا بالمبالغـة والغلـو، وتكثـر فيـه الشـطحات والـرؤى والأحـلام، ولا يسـتغرب القـارئ ذلـك، بـل يجـد فـي هـذه الغرابـة متعـة ولـذة، ولـيس كـذلك مـا جـاء فـي القرآن مـن قصـص، لأنـه لـيس حلمـا مـن الأحـلام، ولا خيـالا مـن الخيـالات، بلـه الواقع الحق، والصدق المبين، والحقيقة المطلقة.

وعلى الرغم من ذلك، فإن هناك من يزعم وجود الخيال في القصص القرآني، ويعتبره قصصا فريدا في نوعه، يمزج بين الحقيقة والخيال مزجا غريبا لا نظير له.

بينمـا الحقيقـة غيـر ذلـك، لأن القصـص القرآنـي يختلـف عـن غيـره مـن القصـص فـي النـهج والموضـوع، وفـي أسلوب الأداء، وفـي الغايـات والمقاصد(37)، فهـو فـي موضـوعه نسـيج مـن الصـدق الخـالص، وعصـارة مـن الحقيقـة المصـفاة، لا تشـوبه شـائبة مـن وهـم أو خيال ! إنـه يبنـى من لبنـات الواقـع، بـلا تزويق ولا تمويه،وهذا الواقـع لا يتغير وجهـه حين يعرض هذا العرض المعجز في ذلك الأسلوب القرآني الرائع، فالإعجاز والروعة إنما يتجليان في صدق الأداء، وفـي نقل الواقـع ومـا تلبس بـه من سرائر النفوس، وخلجات الصدور،وإنـه لـيس النقـل "الفوتـوغرافي" الـذي يقـف عنـد "السـطح "، ولا يتجـاوز شـيئا

(36) العرابي لخضر، مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين، ص33-34.
(37) المرجع نفسه، ص40-42.

مما وراءه من أبعاد وأعماق !، بل هو نقل حي للأحداث، حتى لكأنها تتجسد في الزمان والمكان اللذين حملاها،فتظهر وكأنها في ساعة ميلادهالا يختلف يومها عن أمسها، ولا يفقد من يشهدها اليوم شيئا مما شهده منها الشاهدون بالأمس من صور وأشكال، ومن مشاعر وأحاسيس.

وهذا هو الإعجاز الذي نشهده في كلمات القرآن وهو أيضا الروعة التي تطلع علينا من عبقريات الفن وآياته.[38]

وهكذا يبدو أن القصص القرآني فريد في نهجه، وفي أسلوبه، مختلف في الموضوع وفي الغاية والمقصد عن القصص الأدبي؛ فإذا كان الأمر كذلك، فكيف نتعامل معه ؟ ومن أي ناحية ننظر إليه، وبأي مقياس نقيسه؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات، نقول: إنه لا ينبغي أن نخضع القصص القرآني لمعايير القصص الأدبي، لأن القصص الأدبي عمل بشري، والقصص القرآني وحي منزل من عند الله، والله – سبحانه وتعالى– ليس فنانا حتى نقايس بينه وبين الإنسان، ونسوي قصصه بقصص البشر، هذا بالإضافة إلى أن قصص القرآن منزه ومقدس عن قصور البشر ونقصهم.

ويبقى بعد هذا أن نقول إن القرآن ليس كتاب قصص في أصله؛ وأن ما ورد فيه من قصص ليس عملا فنيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه، وإنما القصة فيه مسوقة للموعظة والتربية والتوجيه.[39]

(38) عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص9.
(39) العرابي لخضر، مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين، ص43-44.

المبحث الثاني:الخصائص الفنية العامة للقصة القرآنية:

لقد تحدث سيد قطب في كتابه " التصوير الفني في القرآن" حديثا مفصلا عن الخصائص الفنية العامة، وتناول بالبحث في فصل " القصة في القرآن" أربع ظواهر فنية، وأبرز هذه الخصائص الفنية في القصة القرآنية، خصيصة التصوير الفني*، أما الآن فسنتحدث عن بقية الخصائص الفنية الأخرى .[40]

أولا: تنوع طريقة العرض :

إن هناك أربع طرق مختلفة للابتداء في عرض القصة القرآنية، تسير على النحو التالي:

1- فمرة تذكر صورة موجزة تلخص القصة قبل بدئها،ثم تعرض التفصيلات بعد ذلك من بدئها إلى نهايتها، وذلك كما في قصة (أصحاب الكهف)[41]، فهي تبدأ بقوله تعالى:(**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا(9)إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا(10) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (11) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا) الكهف 9-12.**

ويبدو واضحا من هذه الآيات أن الطريقة التي اتبعها القرآن في عرض هذه القصة من الناحية الفنية هي طريقة التلخيص الإجمالي أولا ثم العرض التفصيلي أخيرا، وهو تلخيص «يجمل القصة، ويرسم خطوطها الرئيسية العريضة»[42] ؛ ومن ثم يعرف المتلقي أن أهل الكهف فتية، عددهم غير معلوم، آووا إلى الكهف خوفا من أن يفتنوا في دينهم، فضرب الله على آذانهم، فناموا هناك سنين لا يعلم عددها أحد، ثم بعثهم الله من مرقدهم آية على الخلق والنشور.

* لم أتعرض لخصيصة التصوير الفني، لأن موضوع البحث خاص بالتواصل والإبلاغ.

[40] العرابي لخضر، الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، (د ط)، (د ت)، ص356-357.

[41] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، ط 8، 1983، ص181، وينظر صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ص92.

[42] سيد قطب، في ظلال القرآن، 2261/15.

فهذا التلخيص الذي أجمل القصة، ورسم خطوطها العريضة، نحسبه مقدمة مشوقة للتفصيلات التي سيأخذ السياق في عرضها،وتتوزع هذه التفصيلات على ستة مشاهد، مشهد أهل الكهف وهم يتدبرون أمرهم قبل دخولهم الكهف؛ ثم حالتهم بعد دخولهم الكهف، وبعد نومهم تدب فيهم الحياة،وإرسالهم واحد منهم إلى المدينة ليشتري لهم طعاما، وموتهم بعد كشفهم من قبل أهل المدينة،وبناء معبد عليهم واختلاف الناس في أمرهم من بعد ذلك.(43)

2- ومرة تأتي صور القصة لترسم عاقبتها ومغزاها، ثم تبدأ بعد ذلك من جديد لتفصل خطواتها في تصوير أشمل وأدق، وذلك كما في قصة موسى (عليه السلام) الواردة في سورة القصص:(44)

(تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ(2) نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (3)إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ(4) وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوارثين (5) ونمكن لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ) القصص 2-6.

وبعد هذه المقدمة يمضي السياق في عرض قصة موسى من حلقة ميلاده، ونشأته، وما أحاط بها من ظروف قاسية، وينتهي بكبره وقتله المصري، وخروجه من مصر إلى مدين حيث يتزوج هناك، ويمكث بها حقبة من الزمن،ثم يعود بأهله إلى موطنه رسولا لفرعون وملئه، فكأن هذه المقدمة، التي تكشف الغاية من القصة كانت تمهيدا مشوقا لمعرفة الطريقة التي تتحقق بها الغاية المرسومة المعلومة(45)، أو بعبارة أوضح وأدق، فإنه يرى أن السياق هنا، وقبل أن يبدأ القصة يرسم الجو الذي تدور فيه الأحداث، والظرف الذي يجري فيه القصص، ويكشف عن الغاية المخبوءة وراء الأحداث، والتي من أجلها يسوق هذا

(43) العرابي لخضر، الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية، ص358-359 ، وينظر سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص181.

(44) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص181، وينظر صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ص92- 93.

(45) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص182، وينظر العرابي لخضر، الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية، ص360.

القصص وهي طريقة من طرق العرض القرآني للقصة، تساوق موضوعها وأهدافها في هذا الموضع من القرآن.[46]

3- وفي مرات أخرى، تذكر القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص، حيث يكون في مفاجآتها ما يغني عن المقدمة أو عن التلخيص.[47]

مثال ذلك قصة مريم[48]عند مولد عيسى عليه السلام ومفاجآتها معروفة، وكذلك قصة سليمان مع النمل والهدهد وبلقيس. [49]

4- ومرة رابعة نرى القرآن وقد أحال التصوير فيه القصة إلى شكل تمثيلي، فيذكر فقط من الألفاظ ما ينبه إلى ابتداء العرض، ثم يدع القصة تتحدث عن نفسها بوساطة أبطالها، وذلك كالمشهد الذي يعرض لقصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام[50]، يقول تعالى:**(وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ) البقرة 127 .**

هذه إشارة البدء وبداية القصة، أما ما يلي ذلك فمتروك لأمر إبراهيم وإسماعيل[51]، فبداية القصة هاته سيتبعها دعاء وتضرع وابتهال يجري على لسانهما[52]، حيث هتفا من أعماقهما[53]: **(رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128)رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ)**البقرة 127-129.

---

(46) سيد قطب، في ظلال القرآن، 2677/20.

(47) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص182، وينظر العرابي لخضر، الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية، ص361.

(48) انظر سورة مريم الآيات 16-36.

(49) انظر سورة النمل الآيات 15 -44.

(50) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص182-183، وينظر صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ص93.

(51) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص183.

(52) محمود السيد حسن، روائع الإعجاز في القصص القرآني، دراسة في خصائص الأسلوب القصصي المعجز، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط2، 2003، ص81.

(53) صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ص93.

وما يمكن ملاحظته، أن أسلوب العرض الذي اتبعه القرآن في عرض قصصه، أسلوب فني رائع ؛بل يعد من أهم خصائص القصة في العصر الحديث، إذ أصبح لعرض القصة طرق كثيرة يصعب تحديدها.(54)

كما يمكننا أن نلاحظ أيضا، أن القصة القرآنية، لم يكن عرضها للتسلية أو المتعة الزائلة، وإنما للوصول من خلال هذا العرض، والنفوذ بواسطته إلى الحقائق الدينية، ومن ثم لامناص من اتساق هذه الأغراض مع الغرض الفني.(55)

ثانيا : تنوع طريقة المفاجأة :

ومن خصائص القصة القرآنية المفاجأة، التي تتنوع طريقتها وتكون على صور مختلفة،(56) هذا التنوع يبدو على النحو التالي:

1- فمرة يكتم سر المفاجأة عن البطل وعن المشاهدين؛ حتى يكشف لهم السر معا في آن واحد، ويبدو هذا في قصة موسى مع العبد الصالح،(57)حيث تجري القصة هكذا:**(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا(60) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا(61) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (64) فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (65) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (66)قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا(67) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (70) فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (71)قَالَ**

(54) العرابي لخضر، الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية، ص363.
(55) المرجع نفسه، ص364.
(56) المرجع نفسه، ص364.
(57) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص183، وينظر صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ص94.

أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (72)قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (73) فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا (74)قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا(75) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا(76) فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا(77) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا) الكهف 60-78.

وإلى هنا ينتهي هذا المقطع، ويتركنا السياق أمام سلسلة من المفاجآت المتوالية، ... لا زلنا نحن النظارة وموسى معا،لا نعلم لها سرا[58]؛ وموقفنا منها كموقف بطلها موسى، بل نحن لا نعرف من هو هذا الذي يتصرف تلك التصرفات العجيبة فلم ينبئنا القرآن باسمه، تكملة للجو الغامض الذي يحيط بنا.وما قيمة اسمه؟ إنما يراد به أن يمثل الحكمة الإلهية العليا،التي لا ترتب النتائج القريبة على المقدمات المنظورة، بل تهدف إلى أغراض بعيدة لا تراها العين المحدودة، فعدم ذكر اسمه يتفق مع هذه الشخصية المعنوية التي يمثلها .وإن القوى الغيبية لتتحكم في القصة منذ نشأتها.[59]

وهذا التعليل نرى فيه كثيرا من الوجاهة والصواب، لأن جو القصة منذ بدايتها جو غامض مجهول، ومن ثم جاء اسم بطلها غامضا مجهولا.

ثم بعد هذا الجو الغامض المجهول في سياق القرآن، يأخذ السر في التجلي على لسان الرجل الغامض السلوك، المجهول الاسم، فيعرفه موسى والنظارة معا[60]:

(أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (79)وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (80) فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا(81) وَأَمَّا الْجِدَارُ

---

(58) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص184، وينظر العرابي لخضر، الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية، ص366-367.

(59) سيد قطب، في ظلال القرآن، 2281/15.

(60) العرابي لخضر، الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية، ص367- 368. وينظر سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص185.

فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا) الكهف 79-82 .

وهكذا ينكشف السر عن حكمة ذلك التصرف الغريب،...وفي دهشة السر المكشوف والستر المرفوع يختفي الرجل من السياق كما بدا.لقد مضى في المجهول كما خرج من المجهول.[61]

إن قصة موسى والعبد الصالح، ترتبط، في سياق السورة، بقصة أصحاب الكهف في ترك الغيب لله؛ وهذا أفق من آفاق التناسق الفني في القرآن، ووجها من وجوه الإبداع في التأويل للخوارق والعجائب.[62]

2- ومن طرق تنوع المفاجأة في القصص القرآني، أن السر قد يتكشف لجمهور المشاهدين، ويترك أبطال القصة عنه في عماية، وهؤلاء يتصرفون وهم جاهلون بالسر، وأولئك يشاهدون تصرفاتهم عالمين، وأغلب ما يكون ذلك في معرض السخرية من تلك الشخصيات التي لا تدري حقيقة الموقف.

ومثال ذلك قصة أصحاب الجنة[63] – في سورة القلم – الذين يريدون أن يستأثروا بثمارها وحدهم، ويحرموا الفقراء حظهم من ثمر هذه الجنة، فهاهم أولاء يبيتون في شأنها أمرا، فلننظر كيف يصنعون: (...**إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (17) وَلَا يَسْتَثْنُونَ**) القلم 17-18.

ها نحن أولاء ينقلنا السياق فيضعنا أمام أصحاب الجنة، وهاهم أولاء قد استقر رأيهم على أن يقطعوا ثمارها في الصباح الباكر دون أن يتركوا شيئا للفقراء والمساكين.[64]

ومعنى لا يستثنون: أنهم لا يستثنون من الثمرة شيئا للمساكين، أي أقسموا ليصرمن جميع الثمر ولا يتركون منه شيئا.[65]

---

(61) سيد قطب، في ظلال القرآن، 2282/15.

(62) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص186، وينظر العرابي لخضر، الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية، ص369.

(63) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص186، وينظر صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ص96.

(64) العرابي لخضر، الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية، ص370.

فلندعهم على قرارهم الذي يبيتوه، ولننظر ماذا يجري في غفلة منهم .

لاشك أننا نرى هناك، نحن النظارة تلك المفاجأة التي تتم خفية وخلسة، ونسمع حركة الأشباح في الليل البهيم،وأصحاب الجنة نيام :(**فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ** (19) **فَأَصْبَحَتْ كالصر يم)** **القلم 19-20** .

فالنظارة إذا، يعلمون ما أصاب الجنة،وأصحابها المبيتون الماكرون لا يشعرون[66]، فجعل الله تعالى بإرسال آفة سماوية أصابت جنتهم فأخرقتها وصارت كالليل الأسود أو الزرع إذا حصد أي صار هشيما يبسا، وحرموا خير جنتهم بذ نبهم وجنوا على أنفسهم سوء نواياهم.

تلك هي المفاجأة المروعة التي كشف عنها البيان البديع، وبينما نحن نعلم ماحدث ونتابع معرض الأحداث،إذا بهم في عمياء وغفلة عن هذا المصير المحتوم[67]: (**فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ**(21) **أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ** (22)**فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ** (23)**أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ**(24) **وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ)** **القلم 21-25**.

وهاهم ينطلقون في خفة وسرعة ويكاد لا يسمع أحد وقع أقدامهم، حتى فوجئوا بالخبر المروع وانكشف لهم السر ولحقتهم الندامة وملأتهم الحسرة .

أما أوسطهم فكان حكيما عليما، ذو دراية وفطنة، فوبخهم على صنيعهم وتغافلهم عن مراقبة الله وطاعته واتقاء غضبه[68]، فأوسطهم أفضلهم وأقربهم إلى الخير وهو أحد الإخوة الثلاثة[69]، **(قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ)** القلم 28 .

معناه: قال أوسطهم هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم؟ [70] **(قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ)** القلم 29.

---

[65] ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 81/29.
[66] العرابي لخضر، الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية، ص370-371.
[67] محمود السيد حسن، روائع الإعجاز في القصص القرآني دراسة في خصائص الأسلوب القصصي المعجز،ص86.
[68] المرجع السابق، ص86 -87.
[69] ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 86/29.
[70] محمود السيد حسن، روائع الإعجاز في القصص القرآني دراسة في خصائص الأسلوب القصصي المعجز، ص87.

ومما سبق يتضح أن هذا اللون من التناسق، يحيل القصة إلى مسرحية، تدور حوادثها على خشبة مسرح مكشوف، يقوم بأدوارها أبطال يجهلون مصيرهم المحتوم،ويحيل المتلقين إلى نظارة يتابعون سير أحداثها، وهم يعلمون مسبقا سر المفاجأة المروعة التي كشف عنها البيان البديع لأبطالها أخيرا، بعد أن شبع النظارة تهكما وسخرا.[71]

ومن هذا العرض المسرحي ... لهذه التجربة التي ساقها القصص القرآني من واقع الحياة،ومما هو متداول بين الناس، ليلمس قلوب قريش والناس جميعا بأقرب الأساليب إلى واقع حياتهم، يتبين ذلك الربط بين سنة الله في الغابرين وسنته في الحاضرين؛ وهذا التقابل، في تقديره، من شأنه أن يجعل الإنسان المؤمن يشعر بأن مايراه على غيره من آثار النعمة،إنما هو ابتلاء له عواقبه، ومن ثم يعلم أن الله يبتلي بالسراء والنعمة، كما يبتلي بالضراء والفاقة.[72]

3- وهناك لون آخر من ألوان التناسق، يضاف إلى نظائره السابقة؛ حيث يتكشف فيه بعض السر للمشاهدين، وهو خاف على البطل في موضع، وخاف على المشاهدين وعن البطل في موضع آخر، وذلك كله في القصة الواحدة، بل في الموقف الواحد.

مثال ذلك قصة عرش بلقيس الذي جيء به في غمضة عين.[73]

(قَالَ يَا أَيُّهَا المَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ(38) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ(39) قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَـــذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40)قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ(41) فَلَمَّا جَاءتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ(42)

---

[71] العرابي لخضر، الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية، ص373.
[72] سيد قطب، في ظلال القرآن، 3666/29. وينظر العرابي لخضر، الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية، ص373.
[73] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص186-187. وينظر صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ص97.

وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ (43) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)النمل 38-44.

ومن سياق هذه القصة يعلم المتلقي أن عرش بلقيس الآن بين يدي سليمان، بينما هي ظلت تجهل ما يعرفه المتلقي، كما يبدو من قوله تعالى :" لما جاءت قيل: أهكذا عرشك؟ قالت :كأنه هو" ! فهذه مفاجأة عرف المتلقي سرها سلفا، في حين ظلت مفاجأة الصرح الممرد من قوارير خافية على المتلقي والبطل، حتى فوجئنا بسرها معا، حين قيل لبلقيس: " ادخلي الصرح، فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها،قال : إنه صرح ممرد من قوارير!". وهذه طريقة في الأداء القرآني في القصة.(74)

4- وآخر طريقة من طرق تنوع المفاجأة في القصة القرآنية،ألا يكون هناك سر،بل تواجه المفاجأة البطل والنظارة في آن واحد، ويعلمان سرها في الوقت ذاته:وذلك كمفاجآت قصة مريم، حين تتخذ من دون أهلها حجابا، فتفاجأ هناك بالروح الأمين في هيئة رجل، وهي في خلوتها، فتقول له:**(قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا)** مريم 18.

نعم إننا عرفنا قبلها بلحظة أنه "الروح" ولكن الموقف لم يطل فقد أخبرها:

(قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً) ! مريم 19.

وقد فوجئنا كذلك معها إذ أجاءها المخاض إلى جذع النخلة(75) إذ يقول الله تعالى :

(قالت يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا(23)فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) مريم 23-24.

لقد فوجئنا معا مفاجأة كبرى، إذ طفل وليد اللحظة يناديها من تحتها في شدة الألم وغمرة الهول مطمئنا إياها.(76)

(74) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص187. وينظر العرابي لخضر، الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية، ص375.

(75) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص186-187. وينظر صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ص97.

(76) العرابي لخضر، الدراسة الفنية، المعاصرة للقصة القرآنية، ص376.

ثالثا: ترك الفجوات بين المشاهد :

ومن المسلم به، أن طريقة القرآن في عرضه الفني للقصص، لم يبرز من القصة إلاّ أهم الحلقات والمشاهد، وأشدها حركة وحيوية، وأكثرها تماشيا مع الغرض الديني، وهو الأمر الذي نجم عنه ترك فجوات بين هذه الحلقات والمشاهد.(77)

تلك الفجوات التي نجدها بين الموقف والموقف،والتي يتعمد القرآن وجودها، بحيث يجعل بين الموقفين أو الحلقتين فجوة يملأها الخيال ويستمتع بإقامة القنطرة بين المشهد السابق والمشهد اللاحق، ولو أن القرآن ذكر التفصيلات صغيرها وكبيرها لما كان لقصصه تلك الروعة الفائقة . وعجيب في القرآن ذلك الحذف وتلك الفجوات – وخاصة في قصصه – التي تغني عن الذكر، بل هي أروع وأبدع من الذكر.(78)

ومعنى ذلك أن ترد الحلقة من القصة، مقسمة إلى مشاهد استعراضية، بينها فجوات بمقدار ما يسدل الستار على المشهد، ثم يرفع عن المشهد الذي يليه، وهي ظاهرة فنية ملحوظة في طريقة العرض القرآنية للقصة. (79)

وتعد هذه الظاهرة الفنية، في تصور سيد قطب، من أرقى طرق العرض التي توصلت إليها السينما المعاصرة،والمسرح الحديث(80)، وذلك حين اعتبر تلك الفجوات بين المشهد والمشهد، التي يتركها تقسيم المشاهد و"قص" المناظر،مما يؤديه في المسرح الحديث إنزال الستار،وفي السينما الحديثة انتقال الحلقة ؛ بحيث تترك بين كل مشهد أو حلقتين فجوة يملأها الخيال ويستمتع بإقامة القنطرة بين المشهد السابق والمشهد اللاحق.(81)

وبعد بيان القيمة الجمالية لهذه الخصيصة الفنية في عرض القصة، يشير إلى دواعي هذه الظاهرة فيرى أن هذه الفجوات ترد في القصص القرآني، لعدم التكرار في

(77) المرجع نفسه، ص377.
(78) صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ص97-98. وينظر سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص187-188.
(79) سيد قطب، في ظلال القرآن، 2588/19.
(80) العرابي لخضر، الدراسة الفنية، المعاصرة للقصة القرآنية، ص377.
(81) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص187-188.

العرض من جهة وللاقتصار على الحلقات والمشاهد المتعلقة بموضوع السورة وسياقها من جهة أخرى.[82]

وندرك من خلال تتبعنا لحديث سيد قطب عن هذه الخصيصة الفنية، أن جل القصص القرآني مقطع إلى حلقات ومشاهد، بينها فجوات[83]تكمل جمال العرض الفني في القصة، وتتخللها تعقيبات على بعض المشاهد تحمل التوجيه الوجداني المقصود بعرضها في السورة؛ وتحقق العبرة التي من أجلها يساق القصص في القرآن الكريم وتتناسق التعقيبات مع المشاهد والفجوات تنسيقا بديعا،من الناحيتين :الفنية الجمالية، والدينية الوجدانية.[84]

وبما أن هذه الخصيصة الفنية توشك أن تكون طريقة متبعة في جميع قصص القرآن على وجه التقريب، فإننا لا نحتاج إلى تتبع أثر هذه الظاهرة في جميع القصص القرآني فهو كثير، ومن ثم، فإننا سنكتفي بالتمثيل على هذه الخصيصة الفنية بقصة يوسف –عليه السلام– التي قسمها سيد قطب إلى ثمانية وعشرين مشهدا.

ومن تلك المشاهد قدوم إخوة يوسف و هو على خزائن الأرض، في سنوات الجدب،إلى مصر، يطلبون الكيل، فاشترط عليهم – كي يكتالوا– أن يأتوه بأخ لهم من أبيهم ،فأحضروه وأبوهم كاره لذلك. فوضع يوسف صواع الملك في رحل أخيه، فأبقاه عنده رهينة بحجة أنه سارق ! .[85]

(وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ (58)وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ...) يوسف 58-59.

وصل إخوة يوسف إلى مصر، فرأتهم العيون المرصدة قادمين بعدد لافت الانتباه، فأخذوهم إلى يوسف، وأدخلوا عليه في قصره، فعرفهم بملامحهم وكلامهم، وأزيائهم الكنعانية، أما هم فلم يعرفوه لطول مدة الفرقة، وتغير شكله، يضاف إلى هذا وجوده على رأس وزارة المال، وتكلمه باللغة المصرية، وتغيير اسمه، لأن ملك مصر أطلق

---

(82) سيد قطب، في ظلال القرآن، 401/3.

(83) العرابي لخضر، الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية، ص378.

(84) سيد قطب، في ظلال القرآن، 2637/19.

(85) سيد قطب التصوير الفني في القرآن، ص188، وينظر العرابي لخضر، الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية، 379-380.

على يوسف اسم "صفنات فعينع"، بمعنى: مُخَلِّصُ العَالم، وهكذا يدفع السارد "الله تبارك وتعالى"، بشخصيات القصة دفعا لا مجال فيه للمفاجأة، فجاءت الأحداث مثيرة، تحمل بين طياتها أمرارا ربانية، فقد أنزل يوسف إخوته ضيوفا عليه، وكال لهم القمح والشعير كيلا زائدا عن حقهم، ولم يكشف لهم أمره، حتى يبلغ هدفه، ولمّا تأهبوا للرحيل قال لهم(86):

(ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أنّي أوفي الكيل وأنا خير المنزلين(59) فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون) يوسف 59،60.

وبعد رفض يوسف أخذ أحدهم مكان أخيهم الأصغر؛ هانحن أولاء نراهم قد انتحوا مكانا جانبا ليتدبروا أمرهم (87) : **(فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىَ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (80)ارْجِعُواْ إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (81) وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ)يوسف** 80-82 .

وهنا يسدل الستار لنلتقي بهم في موقف آخر، لا في مصر حيث كانوا يتناجون، ولا في الطريق حيث كانوا يفكرون بأي وسيلة يلقون أباهم، وبأي أسلوب يخاطبونه، بل نلتقي بهم أمام أبيهم، وقد قالوا ما أوصاهم به أخوهم، دون أن نسمعهم يقولونه، وإنما يرفع الستار مرة أخرى لنجد أباهم نفسه هوالذي يخاطبهم :

(قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) يوسف 83.

---

(86) بلقاسم دفة، بنية الخطاب السردي في سورة يوسف دراسة سيميائية، مجلة المصطلح، ص102.

(87) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص188، وينظر العرابي لخضر، الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية، ص380.

ويسدل الستار، ثم لم نلبث أن نرى مشهدا آخر بين يعقوب وبنيه، تراه وقد ابيضت عيناه من الحزن وهو دائم الحسرة على يوسف، وأبناؤه يستنكرون منه هذا كله.[88]

والحق أن مصاب يعقوب جلل، فقد كان يحس في أعماق قلبه أن يوسف حي، وأنه عائد إليه حتما، فإذا هو يفقد ابنه الآخر، وتتضاعف عليه الآلام، فهو لا يرى هذا ولا ذاك[89]...(**وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) يوسف 84.**

والعلامتان "ابيضت" و"عيناه" تدلان على حال يعقوب وقد اعتراه الحزن، أمّا الوحدة السيميائية "يوسف"-هنا- ذكّرت المتلقّين "الإخوة" بكيدهم القديم ليوسف، فنشطت مشاعرهم الراكدة، ففوجئوا بتأسف أبيهم على يوسف بدل ابنه الصغير "بنيامين" المتهم بالسرقة، وحرّك فيهم ذلك عاطفة الغضب، فاحتجوا على أبيهم احتجاجا غير متأدّب[90]، قائلين:(**تَاالله تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (85) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) يوسف 85-86.**

وهنا يسدل الستار – أيضا- ويطوون الطريق إلى يوسف، لا نعلم عنهم فيه شيئا، ثم يرفع الستار فنجدهم في مصر، أمام يوسف:[91]

(فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ)يوسف 88.

وهكذا تسير القصة على النسق نفسه من بدئها إلى نهايتها، تاركة فجوات بين المشاهد يكمل التصور ماتم فيها من حركة كما يهوى،ثم تمضي القصة في طريقها[92]، كما أنه يترتب أيضا على تقسيم المشاهد بروز عنصر الخيال والبديع الذي

[88] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص188، وينظر صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ص98.
[89] محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط7، 2005، ص185.
[90] بلقاسم دفة، بنية الخطاب السردي في سورة يوسف دراسة سيميائية، مجلة المصطلح، ص106.
[91] سيد قطب، التصويرالفني في القرآن، ص188-189، وينظر صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ص98-99.
[92] العرابي لخضر، الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية، ص381.

يتصل بالتناسق الفني، فيجذب الأنظار والأسماع نحو الأحداث القصصية لتنطلق الأذهان والوجدانات في أجوائها.[93]

إن قصة يوسف، كما جاءت في القرآن الكريم تمثل النموذج الكامل لمنهج الإسلام في الأداء الفني للقصة، بقدر ما تمثل النموذج الكامل لهذا المنهج في الأداء النفسي والعقيدي والتربوي والحركي أيضا،ومع أن المنهج القرآني واحد في موضوعه وفي أدائه، إلا أن قصة يوسف تبدو وكأنها المعرض المتخصص في عرض هذا المنهج من الناحية الفنية للأداء![94]

تلك، إذا، هي أبرز عناصر الجمال الفني في القصة القرآنية التي تناولها سيد قطب بشيء من التفصيل، وأن هذه العناصر قد تنسجم وعناصر القصة الفنية الحديثة[95]، ولكنها تبقى فن، « قائم وحده إزاء المعاني والأغراض وهو في أفقه الرفيع، كفاء تلك المعاني، وصنو هذه الأغراض».[96]

ولعلنا نلاحظ أن سيد قطب هو أول من تحدث بلغة المسرح والسينما عند دراسته الفنية لقصص القرآن، فتحدث عن وحدة الرسم أو الإطار، وجو المشهد وقص المناظر والانسجام العام، والشريط، واللقطات. وعبر أيضا عند تحليله لبعض القصص بلفظة: (الممثلين، والنظارة، والبطل، ...) وهي مصطلحات فنية حديثة، وتستعمل كلها في عالم السينما والمسرح، والقصة الحديثة .[97]

المبحث الثالث: عناصر الحوار في القصة القرآنية

أولا: الحركة والحوار:

الحركة ثم تلوينها وتنويعها هي الروح الذي يسري في كيان العمل القصصي، ويبعث فيه الحياة، ويجعل بينه وبين الناس تجاذبا وتجاوبا،وإنه بغير الحركة، والحركة المتنوعة الملونة يفقد العمل القصصي حيويته،ثم حياته ويتحول إلى كتلة جامدة باردة من الكلمات.

---

[93] محمود السيد حسن، روائع الإعجاز في القصص القرآني دراسة في خصائص الأسلوب القصصي المعجز، ص90.
[94] سيد قطب، في ظلال القرآن، 1951/12.
[95] العرابي لخضر، الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية، ص383.
[96] سيد قطب،التصوير الفني في القرآن ، ص252.
[97] العرابي لخضر، الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية، ص384-385.

والحوار هو وحده من بين أساليب القول،هو الذي يعتمد عليه فن القصص، في خلق الحركة وتلوينها وتنويعها.
فبالحوار تتبادل الشخصيات مواقفها، وتزايل أماكنها، وتبدل أحوالها وأشكالها.

والحركة هنا أعم من أن تكون حركة مادية، ينتقل بها أشخاص القصة من مكان إلى مكان، أو أن تختفي شخصية لتحل مكانها أخرى،وإنما الحركة هنا تشمل هذا الانتقال المادي في تحركات الأحداث،والأمكنة والأزمنة،كما تشمل تحركات الخواطر والأفكار، والعواطف، وغيرها، مما يتصل بالحياة الإنسانية، في مادياتها ومعنوياتها جميعا.

فأنت ترى أن هناك خيوطا كثيرة تتطلب مهارة فائقة؛ وحذقا وبراعة حتى يمكن أن يلتحم منها نسيج الحركة في القصة، فلا تكون نسجا مهلهلا، أو خيوطا معقدة.(98)

فالحركة ليست مقصورة على الحركة المادية، التي تنتقل بها شخوص القصة من مكان إلى مكان، أو تتحول بها من حال إلى حال وإنما هناك حركات داخلية لا تكاد تحس، وهي في الواقع أكثر فاعلية، وأقوى تأثيرا، في تفاعل الأحداث وفي إنضاجها.

فهناك حركات ذهنية، تتصارع فيها الخواطر والأفكار، في حركات سريعة مطلقة من قيود الزمان والمكان، وهناك كذلك حركات نفسية تغلي فيها العواطف وتفور، دون أن تصطدم بحاجز من حواجز الأمكنة والأزمنة.

وقد تمتزج هذه الحركات جميعها فتكون حركة واحدة، تضبط موقف الحدث من القصة، وتحدد وجهة سيره فيها. (99)

وبذلك كان الحوار الذي يلاحق الفكرة، ويواجهها بالحركة المتنقلة في أكثر من اتجاه، عنصرا أساسيا من عناصر حركة العقيدة في اتجاه الكمال. (100)

ثانيا: الحوار في القصص القرآني:

قبل الخوض في الحديث عن الحوار في القرآن الكريم، علينا أن نتحدث أولا عن الحوار في المعاجم العربية.

---
(98) عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص119.
(99) المرجع نفسه، ص120-121.
(100) محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن الكريم قواعده. أساليبه. معطياته، 30/1.

فالحوار في المعاجم العربية يعني الجواب، تقول: كلمته فما رجع إلي حَوارا وحِوارا ومحاورة وحَويرا ومحورة، بضم الحاء، بوزن مشورة أي جوابا. وأحار عليه جوابه: رده [101]. وحاورته: راجعته الكلام، وهو حسن الحِوار. [102]

والاسم من المحاورة الحوير، تقول: سمعت حَويرهما وحِوارهما[103]. والمحاورة والحوار: المرادة في الكلام . [104]والمحاورة : المجاوبة ومراجعة النطق والكلام في المخاطبة. [105]، والتحاور: التجاوب، وتقول: كلمته فما أحار إلي جوابا وما رجع إلي حويرا ولا حويرة ولا محورة ولا حِوارا أي مارد جوابا . واستحاره أي استنطقه .وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام. والمحورة: من المحاورة مصدر كالمشورة من المشاورة كالمحورة. [106]

أما في القرآن الكريم فقد وردت كلمة الحوار في ثلاث آيات، جاءت اثنتان منها في سورة الكهف في معرض الحديث عن قصة صاحب الجنتين، وحواره مع صاحبه الذي لا يملك الكثير من المال وغيره، فقد استعمل القرآن الكريم كلمة الحوار في موضعين منها :

(...فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) الكهف 34.

(قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً)الكهف 37.

أما الآية الثالثة التي وردت فيهاهذه الكلمة، فقد جاءت في سورة المجاد لة في قصة المرأة التي أتت إلى النبي شاكية زوجها إلى الله... [107]

---

[101] ابن منظور، لسان العرب، مادة (حور)، 182/2.
[102] الزمخشري، أساس البلاغة، مادة(حور)، تحقيق محمود باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، 221/1.
[103] ابن منظور، لسان العرب، مادة (حور)، 182/2.
[104] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مادة (حور)، ص262.
[105] الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (حور)، 317/6.
[106] ابن منظور، لسان العرب، مادة (حور)، 182/2- 183.
[107] محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن الكريم قواعده. أساليبه. معطياته، 16/1، وينظر محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الجيل، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص220.

(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)المجادلة 1.

جاء في رحاب القرآن تفسير سورة الكهف، للإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض أن المحاورة جاءت من حار يحور بمعنى رجع، ومنه قوله تعالى:**(إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُور)** الانشقاق 14.

بمعنى أنه ظن أن لن يرجع، والمناقشة بين اثنين فيها رجع الكلام، يتكلم هذا ثم يرجع الكلام إلى الآخر، ثم العكس، فليس كلاما من طرف واستماعا من طرف آخر فقط، إنما هو محاورة ومناقشة ومجادلة. (108)

فالحوار هو الروح الذي يسري في كيان العمل القصصي، وبغير الحوار يتحول هذا العمل إلى كتلة باردة متحجرة من الكلمات !

والتلوين والتنويع هو الذي يعطي الحركة التي يخلقها الحوار جمالا ؛ ورشاقة، وحسنا مجددا لا يمله النظر، ولا تزهد فيه النفس... غير أننا نشير إلى ملحظ يتصل بأسلوب الحوار، وهو أنه يعتمد غالبا على الحكاية.. حكاية مقولات القائلين، ونقلها على ألسنتهم .

وأسلوب الحكاية في فن القصص على يسره وسهولته من أعقد الأساليب وأشقها في إقامة بناء فني متماسك، لا يعلو وجهه السأم والملالة.

ذلك أن القصصي الذي يقف عند مجرد الحكاية لمقولات القائلين ونقلها عنهم، إنما هو آلة ناطقة تحكي ما وقع عليها من أصوات ؛ دون أن تحمل شيئا من ملابسات الموقف، وما يدور فيه من إشارات وحركات، وخلجات نفوس، وخفقات قلوب إلى غير ذلك مما ينقدح من الاحتكاك الحواري من شرارات هي التي تبعث الأضواء في كيان العمل القصصي، ...فالحوار الذي يعتمد على الحكاية إن لم يقع ليد صانع خبير حاذق كان مزلقا يسقط به العمل القصصي ؛ ويثقل ويبرد ! .

(108) إبراهيم بن عمر بيوض، في رحاب القرآن تفسير سورة الكهف، ص183-184.

وحين نقف بين يدي موقف من تلك المواقف التي أدار فيها القرآن الحوار بين شخصيات الحدث القصصي ؛ نجد المشهد كله حاضرا مشخصا يملأ الأسماع والأبصار، بكل خلجة أو خاطرة وقعت فيه .

ولم يلتزم القرآن نهجا واحدا في إقامة البناء الحواري؛لأن ذلك معناه الخضوع للآلية الحتمية، التي من شأنها أن تقضي على الحرية المطلقة، التي ينبغي أن يولد العمل الفني في جوها .

لهذا نجد القرآن يذهب بالأسلوب الحواري كل مذهب، ويلونه ألوانا مختلفة، حسب مقتضى الحال، وداعية المقام(109)؛ فالقصة القرآنية لم تلتزم طريقا واحدا من حيث الطول والقصر والإجمال والتفصيل، فهناك القصة المفصلة: كما في قصة موسىυ في سورة الأعراف، وقصة نوح υ في سورة هود.

وهناك القصة المجملة: كما في قصة نوحυ في سورة الأعراف، وقصة موسىυ في سورة هود؛ فلقد أجملت كل من السورتين ما فصلته الأخرى.

كذلك سورة يونس فصلت بعض التفصيل في قصة موسىυ ، وأجملت في قصة نوحυ.

إن كل قصة قرآنية مجملة أم مفصلة، قصيرة أم غير قصيرة،جاءت تفي بالغرض الذي سيقت من أجله، فليس قصر القصة يشعر القارئ بشيء من النقص(110)؛ فقد تكون الصورة (تصوير الموقف) صغيرة ولكنها تشتمل على كل أجزاء الموقف، وقد تكون كبيرة ولكنها لا تظهر إلا جانبا منه .

وعلى هذا فقد أشهد مشهدا قصيرا، ولكنه يجمع أجزاء الحدث كلها، بحيث يرى المشاهد جميع الوقائع التي شاركت في بناء الحدث، وعملت على إنمائه واكتماله.

وقد نقف بين يدي مشهد طويل، ولكن نرى فيه فجوات كثيرة، وخلخلات هنا وهناك، يحاول الإنسان ملأها بما بين يديه من مساقات القصة من دلالات وأمارات.

---

(109)عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف ص123-124.

(110)فضل حسن عباس، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ص22.

فمن المشاهد القصيرة التي يظهر فيها الحوار مفصلا غير مجمل، هذا المشهد الذي كان بين موسى وبين ابنتي شعيب. [111]

(وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ. قَالَ: مَا خَطْبُكُمَا؟ قَالَتَا: لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ!) القصص 23.

ومن المشاهد الطويلة التي لم يتقص فيها القصص القرآني كل جزئيات الأحداث، ولم يتتبع كل خطوات تحركاتها ما كان في قصة يوسف، حيث ترك القرآن كثيرا من المواقف والحركات والأحداث، وطوى كثيرا من الأيام والشهور والأعوام، التي تحتاج إليها الأحداث لنضجها واستوائها، ومن ذلك : ما كان بين التقاط يوسف من الجب، ووصوله أرض مصر، ودخوله في بيت العزيزفإنه لم يجر لكل هذا ذكر في القصة.

(وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ(20**) وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ) يوسف** 20-21.

هكذا تطوى هذه المسافات البعيدة الطويلة في الأمكنة والأزمنة إذ لا متعلق لها في مضمون القصة ومحتواها. [112]

وهكذا يكون الهدف من الحوار، توضيح بعض المواقف الحياتية والرسالية، من خلال إثارة بعض القضايا المرتبطة بها في حوار طويل أو قصير. [113]

وللحوار في القصص القرآني سمة خاصة، لا نجد لها أثرا في القصص الأدبي على الإطلاق، وهي تلك الذاتية التي يحتفظ بها هذا الحوار لشخصيات المتحاورين ذلك أننا في القصص القرآني لا نجد فرصة أبدا تنفلت فيها من هذا الشعور الذي يستولي علينا من أننا إزاء شخصيات واقعية، لها وجودها الذاتي، ولها منطقها وتفكيرها، ولها منزعها وإرادتها في الموقف الذي تقفه في الحدث، وفي الأسلوب الذي تعبر به عن موقفها، دون أن نستشعر بأن ملقنا من ورائها يلقنها الكلمات التي تلقيها في المشهد،...على حين أننا

---

(111) عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص125.

(112) المرجع السابق، ص127.

(113) محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن الكريم قواعده. أساليبه. معطياته، 20/1.

نجد ذلك الشعور غامرا فياضا في أكثر مواقف القصص الأدبي، حيث نرى الأشخاص يتحدثون ويتحركون بما يضعه المؤلف على ألسنتهم من كلام، وما يشير إليهم به من حركة.[(114)]

فالقصص القرآني صدق كله لا ينبغي أن يرتاب فيه مرتاب، لأنه إنما ذكر في هذا الكتاب الذي لا ريب فيه:**(مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يوسف** 111.
(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ)الكهف 13.

ليس إذن كما ادعى المتخيلون الذين رأوا أن عنصر الواقعية، ليس من الضروري أن يتحقق في هذا القصص، وكذلك لا ينبغي أن نعدل بالقصص القرآني عن ظاهره فنحمله على التمثيل، فنحن لا نهرع إلى التمثيل إذا كان الحمل على الظاهر ممكنا. فالقصص القرآني واقعي من جهة، ولا يجوز أن يحمل على غير ظاهره من جهة أخرى.[(115)]

ولعل أوضح مثال لهذا الحديث الذي حكاه القرآن على لسان الهدهد في موقفه مع سليمان، حيث لا يشعر القارئ أو السامع أنه في مواجهة حيوان أعجم، وأن هذه الكلمات التي نقلت عنه ليست إلا تخييلا أو تعبيرا عن واقع الحال، وإنما نشعر شعورا صادقا بأن هذا لحيوان قد نطق فعلا بهذه الكلمات، وأن ما نطق به إنما كان تعبيرا صادقا وتصويرا صحيحا لمشاعره ومدركاته، وأن كل كلمة قالها إنما هي منه عن علم وفهم ووعي[(116)]، **(فقالَ أَحطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22)إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ(23) وَجدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) النمل**22-24.

---

(114) عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص129.
(115) فضل حسن عباس، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ص22.
(116)عبدالكريم الخطيب،القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص129-130.

من أجل هذا كان الحوار القصصي القرآني ذا أثر بعيد في إحياء المشاهد التي ضم عليها الحدث القصصي، وفي إقدارها على التأثير بالكلمة تأثيرا لا يبلغه التأثير بالصورة أو الحركة في العمل السينمائي أو المسرحي.

إننا في هذا الحوار نتلقى الكلمات من فم أصحابها، حية، نابضة بالمشاعر والأحاسيس، فلا نسمع الكلمات حتى نجد صاحبها معها، ينطق بها محملة بخلجاته، ونبرات صوته، وما انطبع على وجهه من آثار.[117]

[117] المرجع نفسه، ص130.

ثالثا : عناصر الحوار وشروطه:

1- شخصية المُحاوِر الذي يدير عملية الحوار:

من الطبيعي لأي حوار يدور بين اثنين، لينتهي – في هدفه- إلى النتيجة الحاسمة من الإيمان العميق المنفتح بنتائج الحوار، أن يحقق شرطا أساسيا، أن يملك كل من الطرفين حرية الحركة الفكرية التي يملك معها الثقة بشخصيته الفكرية المستقلة، فلا يكون واقعا تحت رحمة الإرهاب الفكري والنفسي الذي يشعر – معه – بالانسحاق أمام شخصية الآخر لما يحس فيه بأعماقه، بالعظمة الكبيرة والمطلقة التي يملكها الآخر، فتتضاءل – إزاء ذلك- ثقته بنفسه، وبالتالي، ثقته بفكره وبقابليته لأن يكون طرفا للحوار، فيتجمد عند ذلك ويفقد قدرته على الحركة الفكرية، فيتحول إلى صدى للأفكار التي يتلقاها من الآخر.[118]

فالمحاور يتوجه إلى غيره مطلعا إياه على ما يعتقد وما يعرف، ومطالبا إياه بمشاركته اعتقاداته ومعارفه.[119]

وقد حاول الرسول- صلى الله عليه وسلم-من خلال تعاليم الله في القرآن الكريم- أن يوفر ذلك الشرط للآخرين الذين أدار عملية الحوار معهم عندما كان يتحدث إليهم، فحاول انطلاقا من ذلك، أن يؤكد- في أكثر من مناسبة – على جانب البشرية فيه، فهو بشر مثلهم لا يملك أيَّة قوة غير عادية في تكوينه الذاتي، فلا يستطيع اجتراح المعجزات التي يقترحونها عليه، ولا يعلم الغيب، بل كل ما في الأمر، أن هناك وحيًا ينزل إليه من الله باعتبار أنه رسول من صاحب الوحي، وأمّا دوره في هذا الوحي،

(118) محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن الكريم قواعده. أساليبه. معطياته، 36/1.
(119) طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص37.

فهو دور الإنسان الذي يريد أن يبلغه للناس، بكل وسيلة مقنعة، دون أن يملك أمر

فرضه عليهم، وهدايتهم، لأنه لا يملك الطاقة السحرية المعجزة التي تدفعهم إلى الإيمان بما يدعوهم إليه.(120)

قال الله تعالى: **(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) الكهف** 110.

(قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)الأعراف 188.

2- شخصية الطرف الآخر للحوار:

لا بد لمن يدخل في عملية الحوار من إعداد جوّه الداخلي للاقتناع بالنتائج الحاسمة التي يقود إليها الحوار، وإلا انقلب الموقف إلى جدل عقيم لا يراد منه إلا تسجيل المزيد من مواقف عرض العضلات الكلامية. والمزايدات الجدلية التي لا تقدم أو تؤخر في الموضوع لأن الفكرة قد أعدت سلفا، بشكل لا مجال للتراجع عنده، مهما كانت الأدلة المضادة، تبعا للدوافع الذاتية والاجتماعية التي لا ربط لها بالقناعة الذاتية الفكرية المرتكزة على أساس من الحجة والبرهان. (121)

فكل محاور يعتقد القضايا الضرورية والبديهية والمسلم بها، فضلا عن كونه يعتقد الرأي الذي يعرضه على الغير، ويعتقد صحة هذا الاعتقاد وما يلزم عنه وصحة الدليل الذي يقيمه على رأيه، كما أنه يعتقد الانتقاد الذي قد يوجهه إلى رأي الغير ولا يقتنع برأي الغير إلاّ إذا اعتقد أن هذا الرأي مقبول، وأن عناصر الدليل الذي أقامه هذا الغير عليه مقبولة، وأن تدليله بها مقبول هو بدوره. (122)

(120) محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن الكريم قواعده. أساليبه. معطياته، 36/1-37.
(121) المرجع نفسه، 37/1.
(122) طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص38.

وقد ركز القرآن على هذا الجانب، فتحدث عن أولئك الذين لا يريدون أن يؤمنوا أو يقتنعوا وذلك في قوله تعالى: (**وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ** (25) **وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)الأنعام** 25-26.

إنها الصورة الحية لأولئك الذين يستمعون إلى الدعوة، وقلوبهم مغلقة عن وعي ما يسمعون، وآذانهم مسدودة عن الإصغاء إليه، فإذا جاءتهم آيات الله بكل جلاء ووضوح أعرضوا عن الإيمان بها، لا لأن لديهم ما يواجهون به هذه الآيات، ليبرروا به إنكارهم ورفضهم، فهم لا يملكون شيئا من ذلك، بل لأنهم يريدون أن ينكروا عنادًا وكفرًا؛ ولذا فإن الكلمة التي يوجهونها للدعوة، ويواجهون بها الدعاة، لا تعبر عن أية مسؤولية فكرية، وهي قولهم: "إن هذا إلا أساطير الأولين" دونما حجة أو برهان على ذلك.

إن هؤلاء لا يريدون الإيمان بالله، ولكنهم يبررون ذلك بالمطالبة بآيات خارقة للعادة يقترحونها على النبي محمدρ كشرط من شروط الإيمان، لعلمهم بأن ذلك غير وارد، فإن الآيات ليست لعبا ولهوًا، لكل من يريد أن يلهو أو يعلب بل هي خاضعة للحكمة الإلهية التي لا تنزل أي شيء إلا بمقدار على أساس الضرورة العامة التي يدعو إليها موقف النبوّات في بعض حالات التحدي التي تواجهها بقوة.

فليست القضية قضية آيات تقترح ليستجاب لها أولا يستجاب، بل القضية قضية فقدان الاستعداد للإيمان مهما كانت الآيات والبراهين. [(123)]

3-خلق الأجواء الهادئة للتفكير المستقل:

لعل من أشد الأمور ضرورة لوصول الحوار إلى هدفه، وجود الأجواء الهادئة للتفكير الذاتي الذي يمثل فيه الإنسان نفسه وفكره، والابتعاد عن الأجواء الانفعالية التي تبعد الإنسان عن الوقوف مع نفسه وقفة تأمل وتفكير، فإنه قد يخضع في قناعاته وأفكاره للجو الاجتماعي الذي تنطلق فيه الجماعة في أجواء انفعالية حماسية لتأييد فكرة معينة،

[(123)] محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن الكريم قواعده. أساليبه. معطياته، 1/ 37-40.

أو رفض فكرة خاصة، فيستسلم الإنسان لها استسلاما لا شعوريًا، كنتيجة طبيعية لانصهاره بالجو العام وذوبانه فيه...الأمر الذي يفقد فيه استقلاله الفكري وشخصيته المميزة، فيعود ظلاً باهتًا للجماعة. (124)

لقد قلنا سابقا، أن المحاور يتوجه إلى غيره مطلعا إياه على ما يعتقد وما يعرف، ومطالبا إياه بمشاركته اعتقاداته ومعارفه، ففي هذا "الاطلاع" وهذه "المطالبة" يكمن البعد الاجتماعي للحوارية، ومما يزيد هذا البعد الاجتماعي رسوخا هو محاولة تجاوز الخلافات في الرأي بين المتحاورين تجاوزا لا يأتي بالحل الوحيد والأوحد بقدر ما يأتي بحلول متوازنة ومعتدلة تستجيب لأوضاع، تتغير عناصرها وتستجد مطالبها على مرِّ الزمن.

فالحوارية تقوم إذن على مبدأ "التعاون" مع الغير في طلب الحقائق والحلول وفي تحصيل المعارف واتخاذ القرارات وفي التوجه بها إلى العمل. (125)

وقد صور لنا القرآن الكريم ذلك- فيما نقله لنا من أسلوب النبي محمد ρ في الحوار مع خصوم العقيدة، عند ما واجهوه بتهمة الجنون- فقد دعانا إلى أنْ نتجرَّد عن هذا الجو الانفعالي فيما إذا أردنا أن نتبنى الفكرة أو نرفضها، أو ننسجم مع موقف، أو نبتعد عنه.

قال الله تعالى:**(قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) سبأ 46.**

ولذلك دعاهم إلى الانفصال عن هذا الجو المحموم بأن يتفرقوا، مثنى وفرادى، في موقف فكر وتأمل، يرجع إليهم أفكارهم وشخصياتهم، ليصلوا إلى النتيجة الحاسمة بأسرع وقت. (126)

4- المعرفة لموضوع الحوار:

(124) المرجع نفسه، 44/1.
(125) طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص37- 38.
(126) محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن الكريم قواعده. أساليبه. معطياته، 44/1.

لا بدَّ لكل من طرفي الحوار، من التعرّف على الفكرة التي ينطلقان في طريق إثباتها ونفيها، لأن الجهل بها وبتفاصيلها، يحوّل الحوار إلى أسلوب من أساليب الشتائم والمهاترات التي يغطي فيها كلٌّ منهما ضعفه وعجزه عن الوقوف موقف المدافع القوي عن فكرته.

بينما تجعل المعرفة كلاًّ منهما واعيا لما يطرح من فكر، ولما يستقبل من فكر، مما يجعله يعرف كيف يبدأ الحوار، وكيف يخوض فيه، وكيف ينتهي منه، في وضوح الرؤية، وهدوء الفكر، وقوّة الحجة، ووداعة الكلمة. (127)

وهذا من خلال علاقة تخاطبية، تتجه شيئا فشيئًا إلى تحصيل الاتفاق بين المتكلم ونظيره المخاطب، بعد أن تكون قد تدرجت في مجاوزة اختلاف مقتضيات مقاميهما واختلاف طرق عقدهما للدلالات. (128)

وقد أعطانا القرآن الكريم بعض النماذج البشرية التي وقفت ضد الرسالة والرسول، من دون أن يكون لها إحاطة ومعرفة فيما تأخذ وفيما تدع،كما في قوله تعالى:

(هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ) آل عمران 66.

(بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) يونس 39.

فقد نفهم في هذه الآيات، أن القرآن الكريم يأخذ على كل هؤلاء الذين يخاصمون النبوّات والرسالات السماوية، أنَّهم يدخلون معركة الحوار، دون سلاح، لأنهم لا يملكون علمًا أو حجةً، أو إحاطةً بالموضوع الذي يرفضونه، مما يجعل من جدا لهم ورفضهم قضية مزاج، وعقدةً نفسية تتحكم بهم فتدفعهم إلى اللف والدوران تارة، وإلى التكذيب بلا مبرّر أخرى، الأمر الذي لا يؤدي إلى أية نتيجة لحساب المعرفة، أو لمصلحة الحقّ. (129)

5-أسلوب الحوار:

(127) المرجع السابق، 50/1.

(128) طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص50.

(129) محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن الكريم قواعده. أساليبه. معطياته، 50/1-51.

قد لاحظ الإسلام – فيما يحدثنا به القرآن الكريم – أن هناك طريقتين للحوار الفكري، أو للصراع في جميع مجالاته، فهناك طريقة العنف التي تعتمد مواجهة الخصم بأشد الكلمات والأساليب وأقساها، بحيث يتركز الاختيار على كل ما يساهم في إيلامه وإهانته وإهدار كرامته، فلا مجال لمراعاة مشاعره وعواطفه، ودراسة واقع حياته، والإحاطة بظروفه من أجل المحافظة على الانسجام معها بل الأمر ربما يكون – على العكس من ذلك– تحدّيا للمشاعر في كل المجالات.

وقد لا تحتاج إلى التأكيد، بأن مثل هذه الطريقة لا تنتج إلا مزيدًا من الحقد والعداوة والبغضاء. والبعد عن كل الأجواء التي تقرب الأفكار وتساهم في الوصول بالصراع إلى نتيجة طيّبة.

وهناك طريقة اللاعنف، أو الطريقة السلميّة التي تعتمد اللين والمحبة أساسًا للصراع، انطلاقا من القاعدة الإسلامية التي تعتبر موضوع الصراع، بمختلف مستوياته ومجالاته، وسيلةً من وسائل الحركة المنفتحة للوصول إلى الهدف، وهو الإيمان بالحق والوقوف معه والعمل على حشد أكبر عدد ممكن من الناس للارتباط بالهدف والانسجام معه، ولا بدَّ لهذا الخط من الالتقاء بكل الكلمات والأساليب الطيبة المرنة التي تفتح القلوب على الحق، وتقرب الأفكار إلى مفاهيمه وأحكامه، بعيدًا عن كل المعاني الشريرة، والسلبيّات القاسية. (130)

وقد تزدوج أساليب "الإقناع" بأساليب "الإمتاع" فتكون، إذ ذاك، أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب، وتوجيه سلوكه لما يهبها هذا الإمتاع من قوة في استحضار الأشياء، ونفوذ في إشهادها للمخاطَب، كأنه يراها رأي العين. (131)

وقد ركز الإسلام على الطريقة السلمية في كل أساليب الحوار والجدال من أجل الوصول إلى المعرفة، من جهة، أو إلى الموقف الحق من جهة أخرى، وأطلق على ذلك كله "التي هي أحسن" فهي الطابع الذي يطبع كل وسائل الحوار وأساليبه.

قال الله تعالى: **(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** (33) **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي**

(130) المرجع السابق، 52/1.
(131) طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص38.

بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34)**وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) فصلت** 33-35.

ومن الواضح لدينا أن الحسنة تعبر عن الأسلوب السلمي بينما تعبر السيئة عن الأسلوب العنيف.

ونلاحظ أن القرآن الكريم حين يختار لنا أسلوب اللاعنف، وطريقة اللين، يشير إلى النتائج العملية التي تجنيها الرسالة من خلال هذا الأسلوب، وهو أن تحوّل أعداءك إلى أصدقاء ينطلقون معك فيما تفكر فيه، وفيما تعمل له، ثم يعقب على ذلك، بالإيحاء بأن السير في السبيل يحتاج إلى مزيد من الصبر وإلى حظ عظيم من الإيمان، لأن ذلك يخضع لقوّة الأعصاب، ومرونة الشخصية في مواجهتها التحديات... ومشاكل الصراع.

وقد جاءت الإشارة إلى ذلك في آيتين أخريين تتعلقان بالدعوة والحوار بشكل مباشر:

(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)النحل 125.

(وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)العنكبوت 46.

ولن نحتاج إلى جهد كبير لنعرف أن الجدال بالتي هي أحسن، يتمثل في اتباع أفضل الأساليب وأحسنها في إقناع الخصم بالفكرة التي يدور حولها الحوار، بحيث يظل الداعية في ملاحقة جادة واعية لكل الأساليب المطروحة المعروفة وغير المعروفة، ليختار منها الأسلوب الأحسن، والطريق الأفضل سواءٌ في ذلك الكلمات التي يستخدمها والمعاني التي يعبّر عنها. [132]

---

[132] محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن الكريم قواعده. أساليبه. معطياته، 1/ 52-54.

الفصل الثاني

التواصل الحواري في الخطاب القرآني القصصي.

المبحث الأول: مفهوم التواصل.

المبحث الثاني: مفهوم الإبلاغ.

المبحث الثالث: الحوار وطرق التواصل والإبلاغ في سورة الكهف

اقترنت حياة اللغة بعملية التواصل؛ فاللغة التي لا نتواصل بها ليس لها وجود. فحياة لغة ما يعني بقاءها مستمرة في دائرة التواصل والتداول، وأن فناءها أو زوالها يعني شيئا واحدا، هو خروجها من دائرة التواصل. ومن المعلوم أن بين اللغات ركائز مشتركة في تحقيق التواصل، وأن في كل واحدة منها سمات تواصلية خاصة يفهمها الناطقون بها أكثر من غيرهم.

وقد أصبحت اللسانيات التواصلية أظهر فروع اللسانيات الاجتماعية، وارتقت إلى أن تكون من أهم العلوم اللسانية برمتها.(1)

إن اللغة أساس مهم للحياة الاجتماعية أو ضرورة من أهم ضروراتها، لأنها أساس لوجود التواصل في هذه الحياة وأساس لتوطيد سبل التعايش فيها، فهي وسيلة الإنسان للتعبير عن حاجاته ورغباته وأحاسيسه ومواقفه، وطريقة إلى تصريف شؤون عيشه وإرضاء غريزة الاجتماع لديه.(2)

فاللغة تمكن الإنسان من القيام بعملية التواصل مع الأفراد الآخرين والمجموعات الإنسانية بطريقة أكثر فعالية. ولقد عرفت اللغة على أنها نظام معقد من الرموز المشفرة يستخدم لنقل المعلومات وتبادلها.

وللغة أشكال متعددة أهمها اللغة المنطوقة والمكتوبة، وتعتبر اللغة المنطوقة من أكثر الوسائل المستخدمة شيوعا في عملية التواصل، إلا أن اللغة قد تتخذ أشكالا أخرى، إذ يمكننا نقل وتبادل المعلومات عن طريق الإشارات والرموز المختلفة.(3)

وعموما فإن العلماء عادة ما يقسمون اللغة لدى الإنسان إلى شكلين هما:

أ- **اللغة غيرالمقطعية *non syllabic language***

وهي تتكون من أصوات غير مقطعية، أو من حركات أو إيماءات ***gestures*** مثل إيماءات الوجه ***mimesis*** أو تعبيرات الوجه أثناء الحديث ***physiognomy***

---

(1) سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال، الوظيفة، والمنهج، ص675.

(2) أنسي محمد أحمد قاسم، اللغة والتواصل لدى الطفل، ص21.

(3) شحدة فارع، موسى عمايرة وآخرون، مقدمة في اللغويات المعاصرة، ص242.

أو التكشيرات ***grimaces*** أو غير ذلك من لغات مثل لغة العيون – لغة الأذن– لغة الحركة – لغة الشم...إلخ.[4]

وهذا الشكل من اللغة مشترك بين الإنسان والحيوان (مع شيء من الفارق في التعبير). واللغة غير المقطعية تنشأ بسبب الحضارة والعادات والتقاليد...أي من خلال التنشئة الاجتماعية وحسب ثقافة كل جماعة وعاداتها المتفق عليها، فمثلا (رفع الرأس لأعلى دليل رفض، ولأسفل دليل قبول، مع وجود الاختلافات في العادات والتقاليد بين الأمم.

ب – اللغة المقطعية Syllabic:

وهي عبارة عن كلمات أو جمل أو عبارات ذات مدلول ومعنى متعارف عليه من أفراد الجماعة– وهي ثابتة نسبيا والواقع أن اللغة المقطعية شديدة الثراء والقدرة على التعبير والفهم وحفظ التراث والتكيف مع ظروف الحياة – وما يميز الإنسان الراشد السوي وهو تمكنه من اللغة المقطعية بالدرجة الأولى(إلى جانب اللغة غير المقطعية)، واللغة غير المقطعية لا تعتبر لغة بالمعنى العلمي الصحيح، إلا إذا أثارت لدى الآخرين نفس المعنى.[5]

إن اللغة باعتبارها آلة تصوير الفكر قادرة على أن تتخطى الأحياز بين وجود المرسل ووجود المستقبل، والأحياز هذه فراغات قائمة على طول المسافة التي تفصل بين الوجودين المذكورين.

وبمقدار ما يستطيع المرسل أن يملأ من هذه الأحياز، ويكون قادرا حقا على أن يقطع قدرا أكبر، من المسافة التي يقف المستقبل على طرفها الآخر. وذلك على نحو ما هو موضح في الشكل؛ فالحيز ذو الرقم(1) في الشكل، يمثل أحد الأحياز التي

---

(4) أنسي محمد أحمد قاسم، اللغة والتواصل لدى الطفل، ص29.

(5) المرجع نفسه، ص29– 30.

إذا تخطيت أمكن الوصول إلى اقتناع المستقبل[6]، فالمرسل يهدف إلى التأثير في المستقبل، أو إعلامه بالأخبار،...أو إقناعه بالأفكار، أو نقل الأفكار إليه.[7]

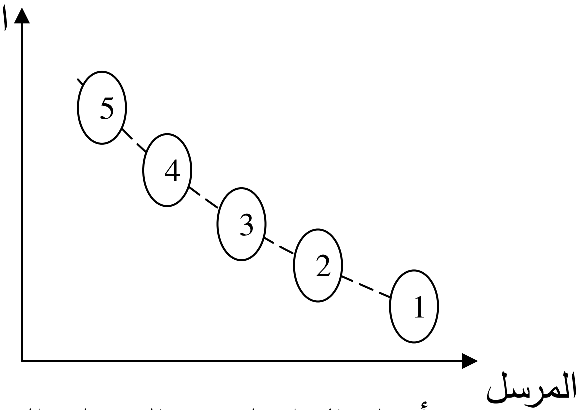

أحياز التواصل بين المرسل والمستقبل

ليكن هذا الحيز ممثلا لضرورة الرسالة، فمن البديهي أن أمرا ليس له ضرورة في نظرنا، لن تكون له قيمة نقتنع بها، لذلك نعبر عن اقتناعنا بألفاظ كثيرة، فنقول هذا موضوع مهم، وهو أساسي أو مركزي، ومن المهم أن نعلم...إلى آخر ذلك من العبارات. ونعبر عن عدم اقتناعنا بألفاظ كثيرة فنقول: هذا موضوع غير مهم، أو هو ثانوي أو هامشي، أو ليس له ضرورة تدعو إليه.

ويمثل الحيز ذو الرقم (2) صلة الرسالة بواقع المستقبل، فكلما كانت أقرب إلى واقعه، كانت أقرب إلى عقله ووجدانه. وكلما كانت بعيدة عن واقعه، كانت في منأى عن اقتناعه بها، ونعبر عن ذلك بألفاظ وتعبيرات شتى؛ فنقول: هذا أمر واقعي وذاك أمر خيالي، وهذا له صلة بالواقع، وذاك لا صلة له بالواقع، وهذا تخريف ...إلى آخر ذلك من التعبيرات.

ويمثل الحيز ذو الرقم (3) دقة التعبير عن المضمون، وهو أمر ينبئ عن حاجة كل إنسان، في أن تكون الرسالة التي يستقبلها ذات معنى، ولن تكون كذلك حتى تكون دقيقة في التعبير عن هذا المعنى.

[6] سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال،و الوظيفة، والمنهج، ص705.

[7] سمر روحي الفيصل، محمد جهاد جمل، مهارات الاتصال في اللغة العربية، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2004، ص15.

ونعبر عن ذلك بألفاظ وتعبيرات شتى، فنقول : هذا دقيق، وهذا غير دقيق ... وهذه أمور مختلطة إلى غير ذلك من التعبيرات .

ويمثل الحيز ذو الرقم (4) ضرورة خلو الرسالة التي نستقبلها من التناقض[8]، فلا بد من أن يكون المرسل عارفا بالموضوع الذي يتحدث عنه؛ لأن المعرفة شرط إفادة المستقبل والحوار معه والتأثير فيه.

كما أنها شرط من شروط النجاح في عملية الاتصال، إذ كلما كان المرسل أكثر معرفة وإحاطة بالموضوع الذي يرسله نجح في جذب المستقبل إليه.[9]

وتعبيراتنا التي تؤدي هذا وتدل عليه،أكثر من أن تحصى وتحصر، فيقال هذا متناقض،وذلك أمر ينقصه كذا وكذا، وغير ذلك مما هو من بابه .

ويمثل الحيز ذو الرقم (5) أن تكون الرسالة ذات نفع للمستقبل، باعتبار الفرد، أو باعتبار الجماعة، ونعبر عن ذلك بألفاظ شتى فنقول: هذا مفيد، وذاك غير مفيد، وقد يكون هناك أحياز أخرى وإن لم تظهر في الشكل، وذلك كأن تكون الرسالة عميقة؛ فإنها بمقدار ما يكون فيها من عمق التفكير وبعد النظر، تكون أقرب إلى المستقبل.

ليس ثمة شك في أن الحيز الواحد من الأحياز السابقة، قد يستأثر وحده باقتناع المستقبل، وذلك كأن تقتنع بأن رسالة ما غير متناقضة ولكنها ليست ضرورية، ولا هي ذات قيمة أو فائدة، كما أنها ساذجة سطحية. فاقتناع المستقبل بكون الرسالة غير متناقضة، مع ما فيها من السلبيات، لا يجعل لها قوة تدخل بها إلى عقل المستقبل. وأحسن ما يستثمر به المرسل رسالة ما، مرتهن بقدرته على ملء أكبر عدد ممكن من الأحياز الواقعة على المسافة الفاصلة بين المرسل والمستقبل.

وليس ملء الأحياز أمرا ميسورا دائما[10]، فعلى المرسل أن يكون قادرا على التعامل مع المستقبل من أجل التأثير فيه .

---

[8] سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال، والوظيفة، والمنهج، ص705-706.

[9] سمر روحي الفيصل، محمد جهاد جمل، مهارات الاتصال في اللغة العربية، ص15.

[10] سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال، والوظيفة، والمنهج، ص706-707.

فالقــدرة علـــى التواصــــل تشـــمل مهـــارات عـــدة منهـــا :الإشـــارة إلـــى الآخـــر أكثر من الإشارة إلى الذات، والاحترام والتقدير لأقوال الآخر وأفعاله، وتأكيد دور الشخص الآخر، ضف إلى ذلك تجنب الإشارة إلى الشخص الآخر في المواقف غير السارة.[11]

إن صعوبة ملء الأحياز مردها إلى أن الواحد منا قد تكون له مواقف مسبقة، هي حصيلة وعيه الإيديولوجي، أو منظومة خبراته أو تراكمات تجاربه،أو نتائج مصالحه ومنافعه.فإذا جاء الخطاب متوافقا مع هذا كله أو بعضه، كان من الميسور أن تملأ هذه الأحياز، بالمدلولات التي تؤلف عمقا أو بعدا لمواقفه.[12]

ولتحقيق وصول الرسالة بالمعنى الذي يقصده المرسل لابد من خلق المناخ المناسب الذي يشجع المستقبل على تلقي الرسالة، ويتضمن ذلك عدة أمور، من أهمها تجنب المقدمات التي تسبب الملل وتدفع إلى عدم الاهتمام، وتجنب ما يشعر المستقبل بالإهانة أو الاستهتار.

ومن العوامل التي تعوق الاستماع إلى العبارات التي تشعر المستقبل بأنه موضع تقييم، أو أن المرسل يتعالى عليه، أو يحاول التلاعب به، أو لا يعيره أهمية، أو أن رأيه لن يغير من القرار.[13]

فالاتصال إذن يعد المادة الماسكة لأفراد المجتمع وجماعاته فبدون اتصال بين أفراد المجتمع يصبحون حشدا لا رابطة وعلاقات اجتماعية بينهم. فالاتصال هو شريان الحياة الاجتماعية، ويقصد بالاتصال توصيل فكرة أو معنى أو حالة عاطفية من شخص إلى شخص أو من شخص إلى جماعة أو من جماعة إلى شخص أو من جماعة إلى جماعة والواقع أن الاتصال يعتبر أساس جميع الظواهر والعمليات والتفاعلات الاجتماعية.[14]

وما ينبغي الإشارة إليه في هذا المقام أن التواصل اللساني يرتكز على ثلاثة عناصر أساسية:

---

[11] سمر روحي الفيصل، محمد جهاد جمل، مهارات الاتصال في اللغة العربية، ص93.

[12] سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال، والوظيفة والمنهج، ص707.

[13] سمر روحي الفيصل، محمد جهاد جمل، مهارات الاتصال في اللغة العربية، ص93.

[14] غريب سيد أحمد،علم اجتماع الاتصال والإعلام، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، (د ط)، 2002، ص29.

1- المتكلم أو المرسل.
2- المستمع أو المستقبل.
3- نظام متجانس من العلامات الدالة يمتلكه المتكلم والمستمع على حد سواء.

ويتم التواصل الكلي بوساطة نشاطين اثنين :

أحدهما : الكلام (الإرسال) وهو الأداء أو الإنجاز الفعلي للعملية التلفظية في الواقع الحسي، وأحدهما الآخر : الاستماع (الاستقبال) وهو التقاط الرسالة الإبلاغية وتفكيك رموزها وتحويلها إلى أفكار.(15)

مما سبق يمكننا القول بأن التواصل هو الاتصال الناجح الذي يعني المشاركة والتفاعل والاستمرارية، وهكذا فإن طموح أي اتصالي أن يحقق التواصل بينه وبين الذين يتصل بهم.(16)

فمهما تعددت أساليب الاتصال ومستوياته ومهما اختلفت نشاطات الاتصال، فإن الهدف من عملية الاتصال هو تحقيق تأثيرات أو نتائج معينة. ومن المؤثرات الهامة على نجاحها مدى استجابة المتلقي للرسالة.

ولذا فإن عملية الاتصال الناجحة هي عملية تواصل بين المرسل والمستقبل؛ أي بين المتصِل والمتصَل به. ولذا يمكننا التفريق بين الاتصال والتواصل؛ من حيث طبيعة عملية الاتصال، وبينما يعني الاتصال إرسال الرسالة إلى المتلقي؛إلا أن ذلك يعني أن المتلقي سيستجيب لها.

ومن هناك كان يجب التفريق بين الرسالة التي لا يستجيب لها المتلقي وبين التي يستجيب لها، فبينما الرسالة الأولى رسالة اتصالية، فإن الأخيرة رسالة تواصلية. ونطلق عليها كلمة التواصل لأن الكلمة تحمل في طياتها وجود رجع من المتلقي؛ أي أنها تحمل معنى المشاركة والتفاعل والاستمرارية، وهما من سمات عملية الاتصال الناجحة.(17)

---

(15) أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية – حقل تعليمية اللغات- ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، (د ت)،ص 75-77.

(16) صالح خليل أبو أصبع، العلاقات العامة والاتصال الإنساني، ص44.

(17) المرجع نفسه، ص44.

إن أدنى تأمل فيما أسلفنا فيه القول يهدي إلى أن اللغة البشرية تستخدم لأغراض مختلفة، الهدف منها جميعا هو تحقيق إنسانية الإنسان في هذا الكون، بيد أن الوظيفة على ما سواها من الوظائف الأخرى في اللغة الإنسانية هي وظيفة التواصل من حيث هو نزعة اجتماعية، وذلك لأن الإنسان ميال بطبعه إلى التواصل مع الآخرين لاضطراره إلى الحياة معهم في مجتمع له خصوصيات ثقافية وحضارية متجانسة.[18]

[18] أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبقية – حقل تعليمية اللغات–، ص75.

المبحث الأول: مفهوم التواصل:

جاء في لسان العرب أن التواصل هو ضد التصارم، والوصلة بالضم: الاتصال وما اتصل بالشيء[19].

وفي التنزيل العزيز:**(وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) القصص 51.** أي وصلنا ذكر الأنبياء وأقاصيص من مضى بعضها ببعض، لعلهم يعتبرون[20]، وأكثرنا لهم القول موصولا بعضه ببعض.[21]

وللتواصل مفاهيم عدة منها:

أولا: التواصل الاجتماعي: يشير إلى علاقة متبادلة بين طرفين أو يشير إلى انفتاح الذات على الآخرين في علاقة ما بحيث لا تنقطع حتى تعود من جديد.

وقد يكون التواصل سيكولوجيا : أي عملية داخلية ذاتية تتم بين الفرد وذاته في نطاق أحاسيسه وتجاربه وخبراته مع نفسه، وضمن نطاق سمات شخصيته كما هو الحال عندما يدرس الفرد ذاته بأن يضعها موضع التحليل والنقد والمحاسبة.

ثانيا: التواصل الآلي أو الميكانيكي: يعتبر التواصل نظاما له مدخلات وله مخرجات وبينهما عمليات وتفاعلات، بالإضافة إلى التغذية الراجعة العائدة من المستقبل إلى المرسل.[22]

يعد التواصل، حينئذ، دعامة من أهم الدعائم التي يقوم عليها النشاط الاجتماعي بين أفراد مجموعة بشرية معينة، فهو من الأسس اللازمة لوجود أي مجتمع، وتحقيق تجانسه وتماسكه تماسكا دقيقا يضمن تقدمه وتطوره.[23]

(19) ابن منظور، لسان العرب، مادة (وصل)، 6/ 450.

(20) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (وصل)، 776/12.

(21) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مادة (وصل)، ص873.

(22) حسن منسي، ديناميات الجماعة، والتفاعل الصفي، ص98.

(23) أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية – حقل تعليمية اللغات– ، ص75.

المبحث الثاني: مفهوم الإبلاغ:

الإبلاغ والتبليغ، هما الإيصال[24]، يقال: أبلغه الخبر إبلاغا، وبلغه تبليغا، والثاني أكثر.[25]

والبلاغ: ما بلغك،وتقول: له في هذا بلاغ وبُلْغة وتَبَلُّغ؛ أي كفاية،...وبلغت المكان بلوغا: وصلت إليه وكذلك إذا شارفت عليه.[26]

وقوله تعالى: **(هَـذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ)إبراهيم 52.** أي هذا القرآن ذو بلاغ، أي: بيان كاف. وقوله تعالى:**(فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ) النحل 35.** أي: الإبلاغ.

والبلاغ: الاسم من الإبلاغ والتبليغ[27]، والبلاغ: التبليغ[28]، نحو قوله عز وجل: **(وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ) يس 17.**

وقوله عز وجل:**(فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ) الرعد 40.**

قال أبو القاسم في المفردات: البلوغ والإبلاغ: الانتهاء إلى أقصى المقصِد المنتهى، مكانا كان، أو زمانا، أو أمرا من الأمور المقدرة.[29]

إن "نموذج الإبلاغ" يفضل "نموذج البلاغ" بكونه يبنى على تصور للقائل يجعله قاصدا، لا الخبر وحده كما هو الشأن في "نموذج البلاغ"، وإنما أيضا إبلاغه إلى الغير. ومعلوم أن قصد الخبر غير قصد إبلاغه، حيث إن الإبلاغ يقترن بقصد التأثير في اعتقادات الغير، بينما لا يستلزم وجود الخبر وجود إبلاغه للغير.[30]

ولعل أحسن وسيلة لإبراز أهمية الإبلاغ هي نظرة الجاحظ لعملية الكلام، فهو يتصور هذه العملية من خلال مفهوم إبلاغ الرسالة الدينية، هذا المفهوم الذي يتلخص في بعدين أساسيين هما:

1- فهم الرسالة الدينية كما نزلت وكما اقتضت حكمة الله أن تكون.

---

[24] الفيروزا بادي، القاموس المحيط، مادة (بلغ)، 137/3 .

[25] الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (بلغ)، 8/12.

[26] ابن منظور، لسان العرب، مادة(بلغ)، 246/1.

[27] الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (بلغ)، 8/12.

[28] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مادة (بلغ)، ص144 .

[29] الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (بلغ)، 7/12 .

[30] طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص44-45.

2- تبليغها أو إفهامها للآخرين بالوسائل البشرية المقتصرة على الكلام.

ويتبلور البعد الأول في مفهوم البيان و البعد الثاني في مفهوم التبيين، ويصبح مدار الكلام على البيان والتبيين وعلى الفهم والتفهيم، فدورة التخاطب تتم بين المتكلم (صاحب التفهيم أو الإفهام) والمخاطَب(صاحب الفهم).(31)

فالبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير... ... والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان... ... ومدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام.(32)

نستخلص من هذه النصوص أن مفهوم البيان عند الجاحظ مفهوم إجرائي؛ أي أنه العملية الموصلة إلى الفهم والإفهام في حالة اشتغالها، حتى وإن اقتضى الإجراء التعليمي تقديمها منفصلة أو ساكنة أحيانا.(33)

ولنستمع إلى الجاحظ يفرق بين البعدين اللذين ليسا إلا المرحلتين الأساسيتين في كل كلام، ولذلك قال الله تبارك وتعالى: **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء) إبراهيم 4.**

فإذا كان الأمر كذلك كان قومه أول من يفهم عنه، ثم يصيرون حجة على غيرهم.(34) فعملية التبليغ تجري حينئذ على هذا الشكل :هناك رسالة دينية نزلت من السماء يجب فهمها أو تفهمها على الحالة التي شاءت حكمة الله أن تكون عليها، ثم تبيينها أو تبليغها بأمانة وعلى أحسن وجه ممكن إلى المخاطَب حتى يفهمها بدوره ويهتدي بهديها، مما يمكن تصوره على هذا الشكل :

(31) محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)،1994، ص69-70.

(32) الجاحظ، البيان والتبيين، قدم لها وبوبها وشرحها الدكتور علي أبو ملحم، منشورات دار ومكتبة الهلال، ط2، 1991، 82/1.

(33) محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، المغرب، (د ط)، 1999، ص191.

(34) الجاحظ، البيان والتبيين، 195/3.

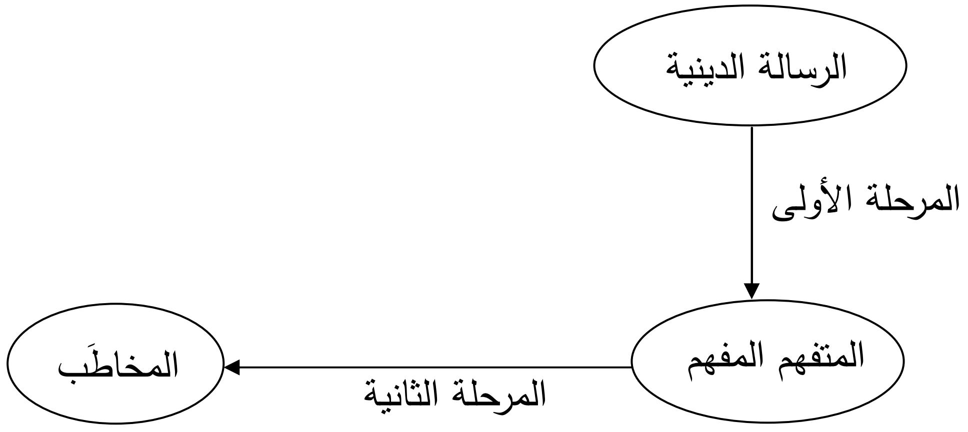

(نلاحظ أن المتفهم في المرحلة الأولى يصير مفهما في المرحلة الثانية).

وهذه الرسالة كما هو معروف تم إيصالها إلى المتفهم (وهو النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الحالة) عن طريق الوحي (**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193)عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ) الشعراء 193-194**. وأسكنها قلبه كما تنص على ذلك الآية نفسها . بينما تنقل إلى المخاطَب عندما يصير المتفهم مفهما في لسان قومه، أعني في الألفاظ والمعاني التي يعرفها ويفهمها، وهي موجهة إلى قلبه كما هي موجهة إلى عقله[35]، ولذلك كلما كان اللسان أبين كان أحمد، كما أنه كلما كان القلب أشد استبانه كان أحمد.[36]

وهذه الاعتبارات كلها تؤدي بالجاحظ إلى طرح قضية المفهم والمتفهم أيهما أفضل؟ والدور الذي يقوم به كل واحد في تأدية الرسالة الكلامية وتقبلها؟

ويعطينا الجواب عن ذلك منذ الصفحات الأولى في عبارة يبدو أن من جاء بعده من البلاغيين لم يتدبروها حق التدبر.[37] يقول الجاحظ:« المفهم لك والمتفهم عنك شريكان في الفضل، إلا أن المفهم أفضل من المتفهم وكذلك المعلم والمتعلم...»[38] . مما يدل على إدراكه البعيد للدور الذي يقوم به كل منهما في عملية الكلام.

(35) محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ص70-71.

(36) الجاحظ، البيان والتبيين، 1/ 34.

(37) محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ص71-72.

(38) الجاحظ، البيان والتبيين، 1 /34.

وإذا انتقلنا من الميدان الديني إلى ميدان الحياة اليومية لم تجر العملية على شكل آخر غير هذا، فهاهو ذا أعرابي يجيء من اليمامة وينزل بحي أعجمي، فعند ما يراه الجاحظ يلاحظ ما حل به من الضيق والغم لأنه كان لا يفهم عنهم ولا يستطيع إفهامهم.[39]

والمفهم والمتفهم هنا ليسا إلا المتكلم والمخاطب حالة ارتباطهما بأسباب الكلام.[40] والرسالة المبلغة ليست إلا المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم، والمختلجة في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم[41]، والتي يريد المتكلم إبلاغها المخاطب بواسطة الألفاظ أعني اللغة التي يفهما كل منهما، وتكون حينئذ صورة المرحلتين هنا مثل التي رأينا من قبل.[42]

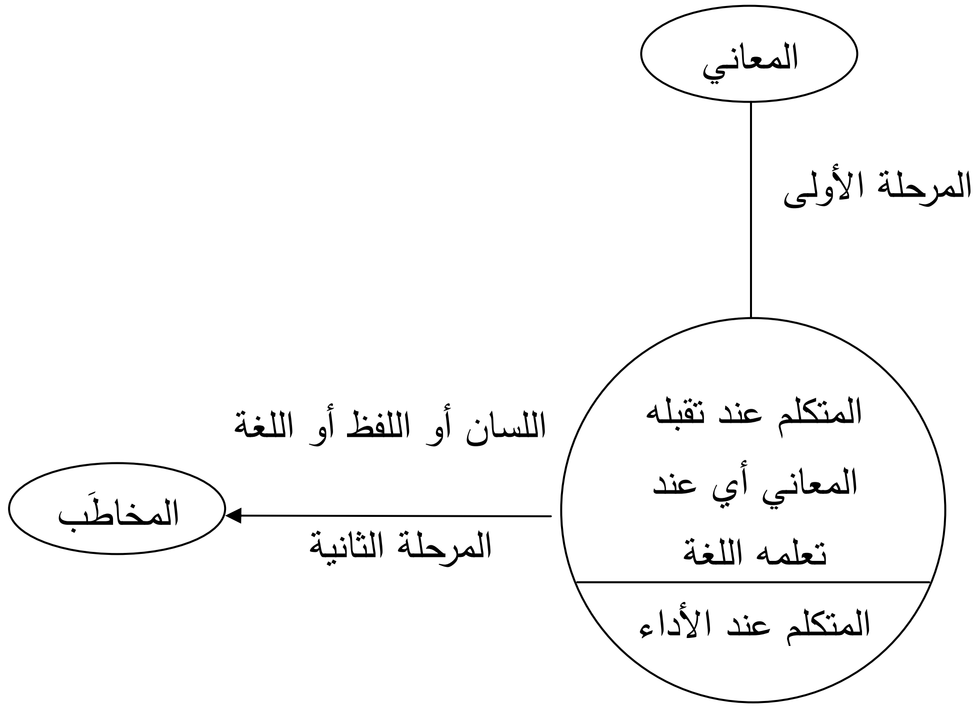

إن الشيء المركزي الثابت في كتاب البيان والتبيين هو الفهم والإفهام بالوسائل المختلفة: الوسائل اللغوية والإشارية خاصة.

فالأمر يتعلق بإيضاح المعنى القائم في النفس حتى يدركه الآخر، وقد وصل الجاحظ إلى هذا المعنى انطلاقا من الوظيفة الأولى للغة وهي التواصل، وكشف الكامن في

---

(39) الجاحظ، البيان والتبيين، وضع حواشيه موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1998، 46/2، وينظر محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ص72.

(40) محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ص72.

(41) الجاحظ، البيان والتبيين، قدم لها وبوبها وشرحها الدكتور علي أبو ملحم، منشورات دار ومكتبة الهلال، ط2، 1991، 81/1.

(42) محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ص72.

الصدور[43]، ولذلك فقد مهد لمطابقة البيان بالفهم بقوله نقلا عن بعض أعلام الألفاظ ونقاد المعاني الذين ذهبوا إلى أن «المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم...مستورة خفية...لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه،... وإنما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها، وإخبارهم عنها، واستعمالهم إياها، وهذه الخصال هي التي تقربها من الفهم، وتجليها للعقل، وتجعل الخفي منها ظاهرا، والغائب شاهدا والبعيد قريبا. وهي التي تلخص الملتبس، وتحل المنعقد، وتجعل المهمل مقيدا، والمقيد مطلقا، والمجهول معروفا، والوحشي مألوفا، والغفل موسوما، والموسوم معلوما».[44]

فالوسيلة تدور حول الذكر والإخبار والاستعمال، والوظيفة ترجع إلى التقريب من الفهم وإظهار الخفي وتقريب الغائب والبعيد إلى الإفهام وحل المنعقد...إلخ وهذه هي وظيفة اللغة بصفة عامة،بل تلك وظيفة الرموز والعلامات في المجال السيميائي العام، وهو المجال الذي وضع فيه الجاحظ البيان من الوجهة النظرية، فتحدث عن أنواع الدلالة من لفظ وغير لفظ.[45]

عرض الجاحظ في كتابيه "الحيوان " و"البيان " لوسائل البيان أو التواصل وحددها في خمس وسائل قائلا: «وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نِصبة» [46] بكسر النون.

ونلحظ أنه قد رتب هذه الوسائل تبعا لصلتها بالحواس، فجعل اللفظ للسامع، وجعل الإشارة للناظر، والعقد للناظر واللامس، كما رتبها من ناحية ثانية طبقا لما تأخذه من حيز مكاني وزماني، فجعل اللفظ لأقرب الحاجات، ومبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت، والخط أو الكتابة لما نزح وغاب من الحاجات.[47]

---

[43] محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص191 -194.

[44] الجاحظ، البيان والتبيين، 81/1.

[45] محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها،ص 194-195.

[46] الجاحظ، البيان والتبيين، 82/1.

[47] الجاحظ، الحيوان، شرح وتحقيق الدكتور يحي الشامي، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، لبنان، ط3، 1997، 37/1-38، وينظر كريم زكي حسام الدين، الإشارات الجسمية دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل، ص34.

ونتيجة لتقييد الجاحظ لوسائل التواصل بالأدوات أو الحواس، وطبيعة أو شكل هذه الوسائل، فقد جعل الحال أو النصبة في المنزلة الخامسة، بل إننا نجده في كتاب الحيوان يجعل مراتب البيان أربعة أقسام هي اللفظ والإشارة والعقد والخط.[48]

وقد فسر النصبة في البيان بقوله:« إنها الحال الناطقة بغير اللفظ، والمشيرة بغير اليد.وذلك ظاهر في كل صامت وناطق ...» [49] . وهي إشارة سيميائية ، ويفسر ذلك في الحيوان بقوله: «فالأجسام الخرس الصامتة ناطقة من جهة الدلالة، ومعربة من جهة صحة الشهادة على أن الذي فيها من التدبير والحكمة مخبر لمن استخبره، وناطق لمن استنطقه، كما خبَّر الهزال وكسوف اللون عن سوء الحال، وكما ينطق السِّمَنْ وحسن النضرة عن حسن الحال... ... فموضوع الجسم ونَصْبَتُه دليل على ما فيه وداعية إليه، ومهيمنة عليه».[50]

لقد كان الجاحظ رائدا في اهتمامه بظاهرة الإشارات الجسمية وأول من تنبه لها من القدماء، وفطن إليها قبل المحدثين الذين اهتموا بها اهتماما كبيرا، وإذا كان القدماء قد تنبهوا لهذه الظاهرة إلا أنهم لم يتوقفوا عندها طويلا كما فعل الجاحظ، وإنما عرضوا لها لبيان دورها المهم في عملية التواصل بشكل مختصر، ومن هؤلاء ابن جني اللغوي (ت392هـ) الذي استعمل مصطلح حكاية الحال للتعبير عن الإشارة الجسمية[51]، قائلا:«...أو لا تعلم أن الإنسان إذا عناه أمر فأراد أن يخاطب صاحبه، وينعم تصويره له في نفسه استعطفه ليقبل عليه؛ فيقول له: يا فلان، أين أنت، أرني وجهك، أقبل علي أحدثك، ...فلو كان استماع الأذن مغنيا عن مقابلة العين، مجزئا عنه لما تكلف القائل، ولا تكلف صاحبه الإقبال عليه، والإصغاء إليه».[52]وعلى ذلك قال:

والعينُ تُبدِي الذي في نفسِ صاحبِها   من العداوة أو وُدٍّ إذا كانا.[53]

---

[48] الجاحظ، الحيوان، 30/1، وينظر كريم زكي حسام الدين، الإشارات الجسمية دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل، ص34.

[49] الجاحظ، البيان والتبيين، وضع حواشيه موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1998، 64/1.

[50] الجاحظ، الحيوان، 30/1– 31.

[51] كريم زكي حسام الدين، الإشارات الجسمية دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل، ص37، وينظر ابن جني، الخصائص، 245/1.

[52] ابن جني، الخصائص، 246/1.

[53] المرجع نفسه، 246/1.

وقال الهذلي:

رَفَوْنِي وقالوا: يا خُويلدُ لا تُرَعْ، فقلتُ، وأنْكَرْت الوجوهَ:همُ همُ.(54)

أفلا ترى إلى اعتباره بمشاهدة الوجوه، وجعلها دليلا على ما في النفوس. وعلى ذلك قالوا:"رب إشارة أبلغ من عبارة".(55)

أما جاكبسون(Jakobson)* فإنه يرى أن هناك ستة عناصر ضرورية لإتمام عملية التواصل هي:

1- المرسل(***destinateur*** **)** وبتعبير آخر الملقي أو المتكلم(56)، وهو فاعل الكلام(57)، والطرف الأول في عملية الاتصال ؛ لأنه مبتدع الرسالة ومالكها والقائم ببثها إلى المستقبل، فضلا عن أنه المسؤول عن صوغ الرسالة،... وتوظيف التقنيات القادرة على الإسهام معه في حفز المستقبل إلى التفاعل مع هذه الرسالة(58)، فالمرسل هو الذي يود أن يؤثر في الآخرين بشكل معين ليشاركوه في أفكار أو اتجاهات... معينة(59)، إذ هو يرغب في نقل المعرفة أو الأفكار إلى الآخرين.(60)

2- المرسل إليه(***destinataire*** **)أو المستقبل:** ويقصد بالمستقبل في عملية الاتصال الشخص أو مجموعة الأشخاص الذي يتلقى أو يستقبل محاولات التأثير الصادرة عن المصدر.

(54) ابن منظور، لسان العرب، مادة(رفا)، 102/3.

(55) ابن جني، الخصائص، 247/1.

* ولد هذا العالم الروسي بموسكو سنة 1896، وزاول دراسته هناك بمعهد اللغات الشرقية، غادر جاكبسون روسيا عام 1920 بعدما نشب نزاع فكري بينه وبين بعض أعضاء المدرسة الشكلانية التي كان واحدا من أتباعها. وهو أيضا واحد من مؤسسي نادي براغ اللساني.

ناقش رسالة الدكتوراه بجامعة براغ سنة 1930. ينظر أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 2002، ص145.

(56) سمر روحي الفيصل، محمد جهاد جمل، مهارات الاتصال في اللغة العربية، ص15.

(57) أبو هلال العسكري، كتاب الفروق، ص38.

(58) سمر روحي الفيصل، محمد جهاد جمل، مهارات الاتصال في اللغة العربية، ص15.

(59) جمال محمد أبو شنب، نظريات الاتصال والإعلام المفاهيم، المداخل النظرية، القضايا، ص14.

(60) سمر روحي الفيصل، محمد جهاد جمل، مهارات الاتصال في اللغة العربية، ص13.

وقد يكون المستقبل شخصا واحدا،... ... أو جماعة معينة[61]. فالمستقبل يستقبل الرسالة من خلال حواسه المختلفة (السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس)، ويختار وينظم المعلومات ويحاول أن يفسرها ويعطي لها معاني ودلالات[62]، إذ يقوم بحل رموزها بغية التوصل إلى تفسير محتوياتها وفهم معناها. وينعكس ذلك في أنماط السلوك المختلفة التي يقوم بها، ويجب ألا يقاس نجاح عملية الاتصال بما يقدمه المرسل ولكن بما يقوم به المستقبل سلوكيا. فالسلوك هو المظهر والدليل على نجاح الرسالة وتحقيق الهدف[63]؛ أي يقوم المستقبل بإجراء رد فعل على ما تم استقباله، وعلى ما فهمه من معلومات[64]، ففي أي اتصال سليم، لا يبقى منفعلا بما يصله من المرسل، بل يتفاعل ويبادر إلى تقديم رأيه في الرسالة، فيصبح مرسلا ذا رأي.[65]

والمستقبل هو نوع من المرسل المعكوس يغير الإشارة المرسلة إلى رسالة مرة أخرى، وينقل هذه الرسالة إلى الهدف، فعندما أتحدث إليك فإن عقلي يكون مصدر المعلومات، وعقلك هو الهدف، وجهازي النطق.

وكما هو موضح في الشكل فإن شرام (schramm) يؤمن بأن المستقبل عندما يصدر التغذية الراجعة يصبح مرسلا، ويلغي ضرورة التفرقة بين الاثنين في وصف عملية الاتصال. فكل واحد منهما يوصف بأنه مصدر ومستقبل للرسالة، فالاتصال دائري ويختلف عن الاتصال القديم ذي الاتجاه الواحد.[66]

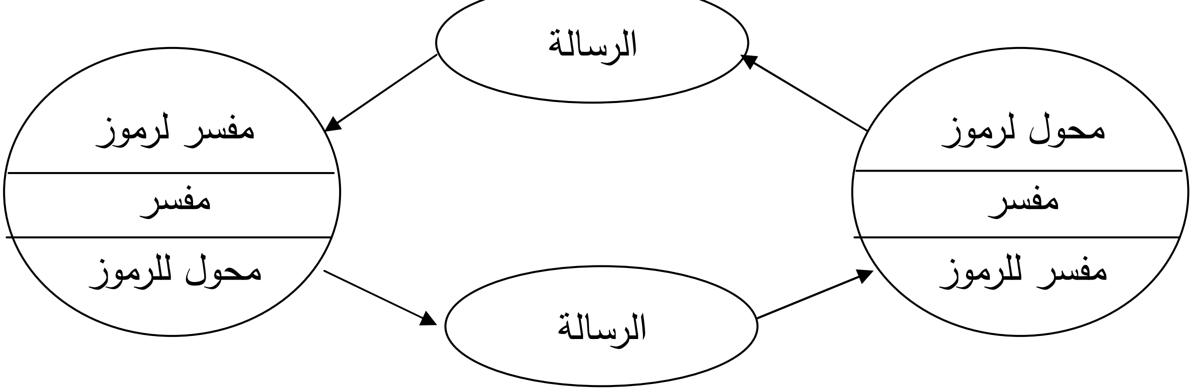

(61) جمال محمد أبو شنب، نظريات الاتصال والإعلام المفاهيم، المدخل النظرية، القضايا، ص15.

(62) أحمد ماهر، السلوك التنظيمي مدخل بناء المهارات، الدار الجامعية، الإسكندرية، (د ط)، 2003، ص343.

(63) سلوى عثمان الصديقي، وهناء حافظ بدوى، أبعاد العملية الاتصالية رؤية نظرية وعملية وواقعية، ص28.

(64) أحمد ماهر، السلوك التنظيمي مدخل بناء المهارات، ص343.

(65) سمر روحي الفيصل، محمد جهاد جمل، مهارات الاتصال في اللغة العربية، ص22.

(66) سلوى عثمان الصديقي، هناء حافظ بدوى، أبعاد العملية الاتصالية رؤية نظرية وعملية وواقعية، ص52، 55.

3 – **الرسالة (*missage*) :**

هي النص أو العبارة[67]، وبعبارة أخرى هي الموضوع أو المحتوى الذي يريد المرسل أن ينقله إلى المستقبل، أو هي الهدف الذي تهدف عملية الاتصال إلى تحقيقه.ولكي نعرف ما إذا كانت الرسالة حققت الهدف منها ينبغي أن نبصر ذلك في نوع السلوك الذي يؤديه المستقبل، فإذا طابق السلوك الهدف المنشود نقول بأن الرسالة قد حققت.[68]

4 – السياق(contexte) أو المرجع[69]، ويعني المقام.[70]

5– القانون أو السنن (code) .

6 – القناة أو الصلة[71] (contact)، وقناة الاتصال مثلا بالمشافهة[72]، وهي القوانين والقواعد التي يشترك فيها طرفا الإرسال.[73]

لقد رسم رومان جاكسبون الأركان التي يقوم عليها الخطاب اللغوي بالطريقة الآتية:

السياق الرسالة

المرسل **المتلقي (المرسل إليه)**

الباث **المتقبل**

أداة الاتصال

السنة اللغوية

ويرتبط بكل عنصر من هذه العناصر الستة وظيفة من وظائف اللغة.[74]

وفي سياق الحديث عن وظائف اللغة ينبغي الإشارة إلى تعريف ابن جني للغة: «أما حدها

---

(67) جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، 2000، ص15.

(68) سلوى عثمان الصديقي، هناء حافظ بدوى،أبعاد العملية الاتصالية رؤية نظرية وعملية وواقعية، ص28.

(69) عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل (اقترابات لسانية للتواصلين: الشفهي والكتابي)، ص88.

(70) جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص15.

(71) أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية – حقل تعليمية اللغات–، ص77.

(72) جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص15.

(73) أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية – حقل تعليمية اللغات–، ص77.

(74) نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، (د ط)، (د ت)، ص354 .

(فإنها أصوات) يعبر بها كل قوم عن أغراضهم».[75] فلفظ " أغراض" عند ابن جني جامع لكل وظائف اللغة كما ذكرها المحدثون؛ ومن ثم كان تعريف ابن جني مستنبطا من داخل اللغة وليس من خارجها.[76] أما جاكبسون jakobson فيقول: إن الكلام يجب أن يدرس من خلال وظائفه المتنوعة.[77]

1- الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية: ومحورها المرسل فهي تعبر عن موقفه من موضوع الحديث، وعن العواطف التي يولدها فيه هذا الموضوع. فالتعجب والتأوه، والسخرية، والغضب، كل ذلك يدخل ضمن الوظيفة الانفعالية.[78]

2- الوظيفة الإفهامية أو الندائية: وتتعلق بما يتلقاه الشخص الذي يوجه إليه الخطاب قصدا أو عن غير قصد[79]، فمحورها المرسل إليه،فالنداء والأمر، والنهي، مما تقوم به هذه الوظيفة.

3- الوظيفة المرجعية أو الإخبارية: وهي متصلة بالسياق وهي الوظيفة المؤدية للإخبار باعتبار أن اللغة فيها تحيلنا على أشياء وموجودات تتحدث عنها.[80]

4- الوظيفة الانتباهية أو وظيفة إقامة الاتصال[81]: وهي مرتبطة بأداة الاتصال، هدفها إقامة هذا الاتصال بين الباث والمتلقي.

وتظهر هذه الوظيفة قبل غيرها من الوظائف عند الطفل فهو كثيرا ما يتكلم حبا في الكلام، ولا تكون الغاية من الكلام التواصل مع غيره أو التعبير عن غرض من الأغراض.

كما تهيمن الوظيفة الانتباهية في المناسبات الاجتماعية المختلفة كمناسبات اللقاء، والحفلات، والجلوس معا في مكان واحد . فكثيرا ما يلجأ المتكلمون إلى استعمال عبارات

---

(75) ابن جني، الخصائص، 33/1.

(76) نادية رمضان النجار، فصول في الدرس اللغوي بين القدماء والمحدثين، مراجعة وتقديم د. عبده الراجحي، الناشر دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2006، ص10.

(77) محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ص68.

(78) نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص354.

(79) عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل (اقترابات لسانية للتواصلين: الشفهي والكتابي)، ص88.

(80) نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص354- 355.

(81) عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل (اقترابات لسانية للتواصلين: الشفهي والكتابي)، ص88.

مقننة لا يقصد بها معانيها الحرفي، بل يقصد بها الأدب والتلطف وإقامة العلاقات الاجتماعية أو تأكيدها وتمتين وشائجها.

5- وظيفة ما وراء اللغة- وقد تسمى وظيفة تعدي اللغة- أو اللغة الوصفية: ومحورها السنة اللغوية فهي الحديث عن اللغة بواسطة اللغة .

هل تستطيع أن تركب جملة تشتمل على اسم مبني؟ ولكن ما الجملة؟ وما الاسم المبني؟

- الجملة كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه.
- والمبني هو الذي يلزم طريقة واحدة.

واللغة خلافا لأجهزة الاتصال هي وحدها التي يتسنى لها أن تتكلم عن نفسها.

6- الوظيفة الشعرية أو الإنشائية: ومحورها الرسالة نفسها.فما يميز الفن عن غيره من النظم السيميائية الأخرى هو أن الغاية التي يجري إليها الفن ليست هي مدلول العلامة اللغوية بقدر ما هي العلامة اللغوية نفسها، فالعلامة مهيمنة في عالم الفن. وهم الفنان أن يصوغ فنه بشكل لا يعبر إلا عن هذا الفن، وبطريقة تركز على كيفية القول أكثر من تركيزها على موضوع القول.

فإذا اتخذ دارس الأدب موضوع دراسته لا العلامة ذاتها وإنما مدلولها، ودرس إيديولوجية الأثر الفني من حيث هي كيان مستقل، فقد حاد عن طريق دراسة الشعر الصحيحة. إذ كان ينبغي أن يقدم ما حقه التقديم وهو دراسة هذا الأثر الفني لذاته ومن أجل ذاته.

ولا يعني هذا أن الأثر الفني يكون خاليا من الوظائف الأخرى، وأنه ينبغي أن يكون موقوفا على الوظيفة الشعرية، وإنما يعني أن كلمة الشعر هي العليا.[82]

وفي مجال تحليل النصوص، تعد الوظائف الثلاث: التعبيرية والندائية أو التحريضية(incitation) والإخبارية من أبرز ما يعتمد في إدراك لعبة الضمائر والتعامل مع حوارات الشخوص وتبادلهم المرسلات:[83]

---

[82] نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص355- 357.

[83] عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل (اقترابات لسانية للتواصلين : الشفهي والكتابي)، ص89.

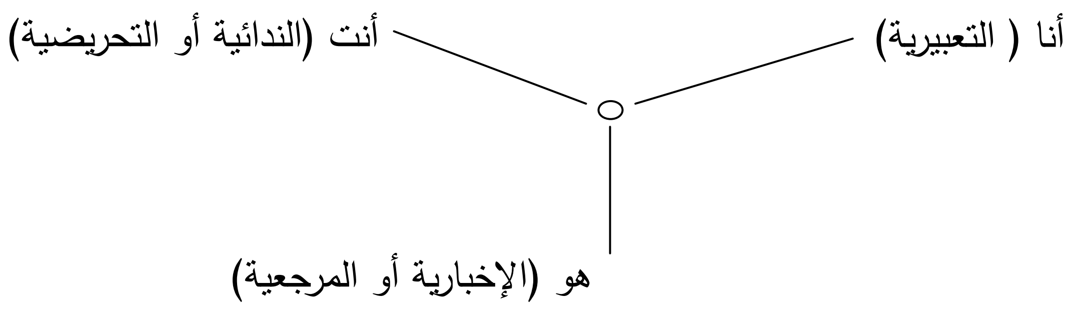

وفي سياق وظائف اللغة تقدم لنا بوهلر(Buhler) أنموذجا تقليديا للغة يقتصر على وظائف ثلاث فقط هي:

1- الوظيفة الانفعالية.
2- الوظيفة الندائية.
3- الوظيفة المرجعية.

وهو ما يقابل ما نسميه:

1- المتكلم(المرسل).
2- المخاطب(المستقبل).
3- الغائب(أي الشخص أو الحدث أو الشيء الذي تتحدث عنه).(84)

ولقد نظر أرسطو في حديثه عن عناصر بناء الخطاب إلى الأطراف الثلاثة المكونة له والمساهمة في فعاليته، وهي المرسل، والمتلقي، والرسالة.(85)

---

(84) أنسي محمد أحمد قاسم، اللغة والتواصل لدى الطفل، ص22-23.

(85) محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجا، أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002، ص22 .

المبحث الثالث: الحوار وطرق التواصل والإبلاغ في سورة الكهف:

إننا- هنا- في محاولة لاستعراض الحوار القصصي في سورة الكهف، والقصة التي تشير إلى الحوار في أسلوبها الخاص، فالقصص هو العنصر الغالب في هذه السورة. ففي أولها تجيء قصة أصحاب الكهف، وبعدها قصة الجنتين، ثم إشارة إلى قصة آدم وإبليس. وفي وسطها تجيء قصة موسى مع العبد الصالح. وفي نهايتها قصة ذي القرنين. ويستغرق هذا القصص معظم آيات السورة، فهو وارد في إحدى وسبعين آية من عشر ومائة آية؛ ومعظم ما يتبقى من آيات السورة هو تعليق أو تعقيب على القصص فيها.[86]

لقد أشرنا سابقا أن الحوار القرآني اشتمل على أنواع من المطارحة الحوارية الإضافية، حيث صدر عن ثنائية، يتواجه فيها فواعل الموقف الخطابي، في علاقة تفاعلية تتشكل من:[87]

1- **المخاطِب والمخاطَبين جماعة:** نجد هذا في قصة أصحاب الكهف، فلما ذهب هؤلاء الفتية إلى الكهف قالوا: (**رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا)الكهف10.**

لم يقولوا: آتنا رحمة، قالوا (من لدنك): من عندك، حتى تكون الرحمة على قدر الرحمان الرحيم، وتكون الهدية كما يقولون على قدر المهدي، وهذا مما أرشدهم الله تعالى إليه ليسألوه بهذه الصيغة حتى تكون الرحمة عامة، شاملة كاملة لكل ما هم بحاجة إليه. ثم إن في هذا الدعاء تواضعا منهم، فهم لم يجعلوا أنفسهم مستحقين لتلك الرحمة بإيمانهم وصبرهم على إيذاء قومهم، ومهاجرة وطنهم.

وهؤلاء الفتية سألوا ربهم: يا رب هب لنا رحمة من رحماتك الكبرى، تشمل الروح والبدن، وكل ما أحاط بهم، وكل ما هم بحاجة إليه . وقالوا: يا رب إنا فوضنا أمرنا إليك، فأدركنا برحمتك،(وهيئ لنا من أمرنا رشدا).

---

(86) سيد قطب، في ظلال القرآن، 56/15 22.

(87) سليمان عشراتي، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ص186.

التهيئة هي إعداد الشيء، أصل الكلمة مأخوذة من التهيئة، وهيئة الشيء شكله وجسمه، وإذا كونت شيئا فقد هيأته، واختيار لفظ التهيئة أو ليس يدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك هيأوا شيئا؟ ولم يكن لديهم شيء مهيأ؟ إذن ليست لهم خطة مرسومة.(88)

إن هذا الحوار دار بين واحد من طرف (الله) وجماعة من طرف آخر (الفتية)؛ فالموقف الحواري مشكل من تدخل واحد، المتمثل في مناجاة الفتية لله سبحانه وتعالى والتضرع إليه، رغبة في استجابة دعوتهم، فالمخاطَب هو المطلق ؛ أي الله، والمخاطِبين هم الفتية ، استخدموا فعل القول المتمثل في " قالوا ".

ونجد مثل هذا الموقف الحواري في قوله تعالى: **(إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا)الكهف 14.**

إنهم قاموا بين يدي الله عز وجل فقالوا:**(رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ، وَالْأَرْضِ)**. وقد نفوا عن أنفسهم التعلق بمعبود آخر كما فعل المشركون بقولهم: **(لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا)**. أي لن نعبد معبودا آخر غير الله.

واللام في قوله **(لَقَدْ قُلْنَا...)** هي الموطئة للقسم.(89)

قال الله تعالى:**(وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا) الكهف 16.**

هذا خطاب من بعضهم لبعض، حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم(90)، فهؤلاء الفتية قد أجمعوا على أن يعتزلوا قومهم وما يعبدون من دون الله، وأن يلتجئوا إلى كهف بعيدا عن الأعين حتى تتاح لهم فرصة الهرب إلى بلد غير هذا البلد .

فالآية تصور الحوار الذي جرى بينهم، كأن بعضهم قال للبعض: فماذا نفعل ؟ ! الإيمان قد ثبت في قلوبنا، اعتقدنا أن الله واحد لا شريك له، وأن ما عليه قومنا هو الباطل، فماذا نعمل اليوم؟ !

أنمكث بين ظهران قومنا أم نخرج ؟! (91)

---

(88) إبراهيم بن عمر بيوض، في رحاب القرآن تفسير سورة الكهف، ص69 –70.

(89) محمود السيد حسن، روائع الإعجاز في القصص القرآني دراسة في خصائص الأسلوب القصصي المعجز، ص190.

(90) الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، (د ط)، (د ت)، 707/2.

ولننظر في جواب الأمر[92] في قوله تعالى:(**فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا) الكهف 16.**

أي فأووا إلى الكهف، لما نويتم وقررتم ألا تعبدوا ما يعبدون، ويكون لكم دينكم الخاص بكم، فلا يمكن لكم البقاء وسط هؤلاء، ففارقوهم واذهبوا إلى الغار، يجعل لكم ربكم مخرجا ومرفقا، ونعبد الله فيه، ولنا ثقة وحسن ظن في الله تعالى أن يبسط علينا من رحمته.[93]

ولنتمعن في تلك المقابلة بين الإيواء إلى الكهف ونشر الرحمة، نجد الثقة والطمأنينة إلى رحمة الرب سبحانه، ففي الوقت الذي يطلب منهم فيه أن يأووا إلى الكهف الضيق المظلم يمسح عنهم كل معاناة من جراء ذلك، فيترتب على ذلك الضيق وجود السعة والبحبوحة والاستظلال في رحمة الله المنشورة.[94]

وفجأة تدب الحياة في أصحاب الكهف . فلننظر ولنسمع:(**وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (19) إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا)الكهف 19-20.**

لقد تحركت دفة الحوار وعملية السرد بين الفتية ، ليقع التساؤل بينهم، حيث ترددت التساؤلات من واحد إلى آخر إيماء إلى طول المكث وشعورهم بأنهم استغرقوا في نومهم أكثر مما قدروا.

وجملة: (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم). وكأنه حصل لهم نوع تردد في كثرة نومهم.[95]

[91] إبراهيم بن عمر بيوض، في رحاب القرآن تفسير سورة الكهف، ص101.

[92] محمود السيد حسن، روائع الإعجاز في القصص القرآني دراسة في خصائص الأسلوب القصصي المعجز، ص112.

[93] إبراهيم بن عمر بيوض، في رحاب القرآن تفسير سورة الكهف، ص101-102.

[94] محمود السيد حسن، روائع الإعجاز في القصص القرآني دراسة في خصائص الأسلوب القصصي المعجز، ص113.

[95] محمود السيد حسن، روائع الإعجاز في القصص القرآني دراسة في خصائص الأسلوب القصصي المعجز، ص193.

وبتعبير آخر: قال واحد منهم يسأل يخيل إلي أن ساعات طويلة رقدناها، فما تظنون يا رفاق؟

وقال الثاني: ربما نكون قد لبثنا يوما، فإن الجوع الذي نحسه، والتعب الذي نشعر به، ليؤذن بما أظن.

وقال الثالث: نحن قد رقدنا في الصباح، وهذه الشمس لم تطفل(96)، فما أظن إلا أننا قد لبثنا بعضا من اليوم(97)؛ لأنهم ناموا أول النهار، وقاموا آخر العشي.(98)

وقال الرابع: دعونا من تساؤلكم، فالله أعلم بما لبثتم، ولكني أحس الجوع شديدا، وكأني لم أطعم منذ ليال، فليذهب واحد منكم إلى المدينة يلتمس لنا طعاما، وليكن حذرا لبيبا، فطنا أريبا، حتى لا يعرفه أحد، ولا يفطن إليه إنسان، إنهم لو ظهروا علينا وعرفوا مكاننا يقتلوننا أو يفتنوننا في ديننا.(99)

فالسائل أحس في خاطره طول نومهم ولذلك سأل، وجوابهم هذا (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) مبني على غلبة الظن، والقول بالظن الغالب لا يعد كذبا، ولما عرض لهم الشك في الأخبار ردوا علم لبثهم إلى الله تعالى(100)، (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) إنكار عليهم من بعضهم، وأن الله أعلم بمدة لبثهم(101)، لذلك سلموا الأمر لله وقالوا: (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة)، بحديث التساؤل كأنهم قالوا خذوا فيما يهمكم ودعوا علم ذلك إلى الله.(102) فكان ما كان؛ بعد ذلك يعلمون علم اليقين أنهم ناموا أكثر من ثلاثمائة سنين، وقد اطلعوا على الحقيقة، لأن ورقهم قديمة، والمدينة تبدلت، وأهلها أصبحوا مؤمنين بعد أن كانوا كفرة.

أما قولهم (ولن تفلحوا إذا أبدا). هذا استشعار منهم لشيء، وهذه مبالغة في الاحتياط لأنفسهم، كأنهم يقولون: ما نحن إلا بشر، ولا نأمن على أنفسنا أن نفتن

---

(96) لم تطفل : لم تدن للغروب.

(97) محمد أحمد جاد المولى وآخرون، قصص القرآن، دار الجيل، بيروت، ط12، 1985، ص234.

(98) إبراهيم بن عمر بيوض، في رحاب القرآن تفسير سورة الكهف، ص112 .

(99) محمد أحمد جاد المولى وآخرون، قصص القرآن، ص234 .

(100) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 106/6.

(101) الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 710/2.

(102) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 107/6 .

في ديننا، وبما يغلبوننا على أمرنا، وربما يجبروننا، فالسلامة كل السلامة في التستر وعدم الظهور علينا، ذلك لأننا لوعدنا إلى ملتهم فلن نفلح أبدا.(103)

فالحوار هنا لازم صيغة السؤال والجواب، فالفتية يتبادلون الحوار والأقوال فيما بينهم.

وهكذا يتناجى الفتية فيما بينهم خائفين حذرين أن يظهر عليهم الملك الجبار فيقتلهم أو يردهم إلى عبادة الأوثان، فيوصون صاحبهم بالتلطف بالدخول والخروج وأخذ الحيطة والحذر.(104)

وفي ثنايا القصة نجد تنازع القوم في أمر أهل الكهف، وإنكار على من يتحدثون عن عددهم رجما بالغيب(105): **(إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا (21)سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ) الكهف 21-22.**

فالناس كانوا يتنازعون(106) في شأنهم، وماذا يصنعون بهم ؟ أنتركهم حيث هم؟ أم ندفنهم في مكان آخر ؟أم نبني عليهم بنيانا؟أم نتخذ عليهم توابيت من ذهب أو فضة؟

ويناسب الكفرة أن يقولوا: (ابنوا عليهم بنيانا)؛ أي سدوا عليهم الغار ودعوهم، واللفظ في حد ذاته لمن تذوقه وتلطفه في التذوق، وتربص قليلا، يبدو له فيه شيء من السخرية والتهكم، والاستهزاء بهؤلاء واحتقارهم؛ وهذا لا يكون إلا من الكفار.(107)

(ربهم أعلم بهم): كأنهم قالوا: دعوهم ولا تهتموا بهم، ولا تشغلوا أنفسكم بأمرهم، ويمكن أن يكون قال هذا القول بعض المؤمنين الضعفاء، والناس طبقات.

لكن المؤمنون قالوا:(لنتخذن عليهم مسجدا). اللام مشعرة بقسم محذوف، وهي للتأكيد، ثم نون التوكيد المشددة، هذا التوكيد لا يقصد به إلا الرد على الطائفة

(103) إبراهيم بن عمر بيوض، في رحاب القرآن تفسير سورة الكهف، ص112، 115 .

(104) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير ، 186/2.

(105) سيد قطب، في ظلال القرآن، 2257/15.

(106) والتنازع إذ ذاك في أمر البناء والمسجد لا في أمر القيامة، وقيل:التنازع إنما هو في أن اطلعوا عليهم، فقال بعض: هم أموات. وقال بعض: هم أحياء. ينظر أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 108/6 .

(107) إبراهيم بن عمر بيوض، في رحاب القرآن تفسير سورة الكهف، ص118 -119.

التي قالت:(ابنوا عليهم بنيانا). ولو لم يكن الأولون قصدوا شيئا من الإهانة والتحقير، وفهمه الآخرون، ما كانوا ليردوا بهذه التوكيدات المشعرة بالقوة(108): (لنتخذن عليهم مسجدا)؟

وحتى الفرق في التعبير يدل على غلبة وقوة الفريق المؤمن، فالأولون قالوا:(ابنوا عليهم بنيانا)، والآخرون قالوا:(لنتخذن عليهم مسجدا).

وهكذا قسمت الآية بين الطائفتين : الطائفة التي لا تؤمن، التي قالت الكلام الأول، والطائفة الذين غلبوا على أمرهم وهم المؤمنون قطعا.(109)

(سيقولون ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ)الكهف 22.

(سيقولون) الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول اللهρ من أهل الكتاب والمؤمنين، سألوا رسول اللهρ عنهم فأخر الجواب إلى أن يوحى إليه فيهم، فنزلت إخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم.(110)

فالحوار في هاته الآيات لازم صيغة السؤال والجواب بين المتحاورين، إذن فطبيعة السؤال والجواب هي محاورة ... ... وفي مجال القصة القرآنية نجده هو الذي يبعث الحدث ويجعل المتتبع له يستعيد مكانه وزمانه الذي وضع له.(111)

فالسؤال هو مفتاح الاستمرارية في الحوار، وهو الذي يدفع إلى تبادل الأقوال والآراء بين الأطراف المتحاورة، وبذلك يتحقق مبدأ الاتصال بين المرسلين والمستقبلين.

(قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) الكهف 26.

تذييل الخبر بهذه الآية فيه دليل على أن الله وحده العليم بحقيقة الخبر، وكأن الله تعالى يقول: لا أحد منكم يعلم الحقيقة، وها قد أخبرتكم بها.

تكلف البعض فجعلوا قوله :(قل الله أعلم بما لبثوا) عائدا إلى كلام الناس الذين اختلفوا في عددهم فقالوا:(ثلاثة رابعهم كلبهم... ...).

---

(108) المرجع السابق، ص118-119.

(109) المرجع نفسه، ص118- 119.

(110) الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 712/2.

(111) محمد موسوني، السؤال والجواب دراسة نحوية، وبلاغية، وقرآنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(د ط)، 2004، ص79.

وهكذا أزال الله تعالى على لسان نبيئه الخلاف والنزاع الواقع بين الناس في عدد أصحاب الكهف، وفي مدة لبثهم في كهفهم، ورد الأمر إليه في مسألتين[112]، في الأولى قال:(قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل)، وفي الثانية عقب عليها بقوله:(قل الله أعلم بما لبثوا).

ولعل خير ما يمثل جانب الحوار هي الآيات التي بدئت بـ: ويسألونك، وهذا ما نجده في قصة ذي القرنين في قوله تعالى: (**وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا)الكهف 83.**

إن اليهود هم الذين أوحوا إلى كفار قريش أن سألوا النبيءρ عن ذي القرنين.[113]

عندما سار ذو القرنين إلى الشرق غازيا مجاهدا،... حتى انتهى في سيره إلى غاية العمران في الأرض، وهناك وجد أقواما تشرق الشمس عليهم، ولكن ليس لهم بيوت تسترهم، أو أشجار تظلهم، ولعلهم كانوا على حال من الفوضى ونصيب من الجهل...فبسط على بلادهم لواء حكمه، وأضاء عليهم بنور علمه ورأيه، وخلفهم إلى الشمال غازيا مجاهدا مظفرا منصورا، حتى انتهى إلى بلاد بين جبلين، يسكنها أقوام لا تكاد تعرف لغاتهم، أو يفهم في الحديث مرماهم، ولكنهم قد جاوروا يأجوج ومأجوج، وهم قوم في الأرض مفسدون.

وما إن رأوا ذا القرنين ملكا قوي البأس، شديد المراس، واسع السلطان كثير الأعوان، حتى فزعوا إليه أن يقيم سدا بينهم وبين جيرانهم، ...إذ كان يأجوج ومأجوج قوما قد ركب الشر في نفوسهم جبلة، وامتزج الفساد بين جوانبهم خلقة، السيف لا يمكنه أن يردعهم، والنصح محال أن ينفعهم، وشرطوا على أنفسهم... أن يضعوا أموالا بين يديه.[114]

(قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا) الكهف 94.

---

(112) إبراهيم بن عمر بيوض، في رحاب القرآن تفسير سورة الكهف، ص146- 147.

(113) المرجع نفسه، ص94.

(114) محمد أحمد جاد المولى وآخرون، قصص القرآن، ص229 -230.

ويأجوج ومأجوج وإن كانوا من البشر إلا أنهم أشبه بقوة من قوى الطبيعة العاتية[115]!

ولهذا فإن ذا القرنين – بما طبعه الله على الخير، وما فطره على الصلاح، وما أعطاه الله من كنوز الأرض وخيراتها[116] لا يحاربهم، ولا يلقاهم لقاء العدو، وإنما هو يعمل على أن يقيم بينهم وبين الناس سدا، كما يفعل الناس في وجه السيول الجارفة.[117] فأجابهم على سؤالهم، ورد عطاءهم، وقال لهم : **(مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ) الكهف 95.**

ثم طلب إليهم أن يعينوه على ما يفعل، ويساعدوه على ما يصنع، فحشدوا له الحديد والنحاس، والخشب والفحم، فوضع بين الجبلين قطع الحديد، وحاطها بالفحم والخشب، ثم أوقد النار، وأفرغ عليه ذائب النحاس، واستوى كل ذلك بين الجبلين سدا منيعا قائما، **(قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا(95)آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) الكهف 95-96.**

فما استطاعت يأجوج ومأجوج عن تسوره لعلوه وملاسته، أو تنقبه لمتانته[118]، وذلك في قوله سبحانه: **(فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) الكهف 97.**

أراح الله منهم شعبا كان يشكو من أذاهم، ويألم من عدوانهم .

أما ذو القرنين فإنه لما رأى السد منيعا حصينا هتف من قرارة نفسه وذلك في قوله تعالى[119]: **(قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا)الكهف 98.**

فهذا صراع لم يرق فيه دم، ولم تزهق فيه أرواح!.[120]

---

[115] عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص226.

[116] محمد أحمد جاد المولى وآخرون، قصص القرآن، ص230.

[117] عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص226.

[118] محمد أحمد جاد المولى وآخرون، قصص القرآن، ص230.

[119] المرجع نفسه، ص230.

[120] عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة نطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص226.

إن هذا الحوار دار بحرية تامة لا أثر للضغط على المخاطَب،(**قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا)الكهف 94.**

فهذا الحوار دار بين جماعة من طرف (الأقوام)، وواحد من طرف آخر (ذو القرنين)، فكانت بداية الحوار من طرف الأقوام، فهي التي بادرت الكلام من أجل التواصل مع الآخر(ذو القرنين)، وكان الرد من طرف ذي القرنين في سلسلة من الأقوال والأفعال، وهذا يوحي بالتفاعل والمشاركة في الحوار مع الطرف الأول (الأقوام) .

وما نلاحظه في هذا الحوار الذي دار بين الأقوام وذي القرنين، وجود الثقة في المستقبل (ذو القرنين)، فالحوار افتتح بسؤال من طرف الأقوام تطبعه الحرية التامة، وجاء الرد من طرف المستقبل دون معاودة طرح الأسئلة من طرف المرسلين (الأقوام).

إن هذا الاتصال الذي دار بين الأقوام وذي القرنين، يعرف باتصال المواجهة، أو الاتصال الشخصي. وهو اتصال مباشر يتم وجها لوجه بين شخصين أو أكثر، حيث يمكن فيه أن نستخدم حواسنا الخمس،ويتيح هذا الاتصال التفاعل بين هؤلاء الأشخاص،[(121)] وهناك شبه إجماع على أن أهم ما يميز الاتصال المواجهي عن غيره من عمليات الاتصال، هي فرصة الحصول على رجع الصدى (***feed back***)أثناء العملية الاتصالية.

ضف إلى هذا أن الاتصال المواجهي يتضمن بداخله مستويين من الاتصال: اتصال مواجهي فردي، واتصال مواجهي جمعي، ويقصد به ذلك الاتصال الذي يحدث بين فرد وآخر، أو فرد وآخرين[(122)]، مثلما هو في الحوار الذي دار بين الأقوام وذي القرنين.

والاتصال الشخصي أفضل أشكال الاتصال؛ إذ يوفر للمتصِل فرصة التعرف الفوري والمباشر على مدى فعالية رسالته أو تأثيرها في المتلقي (المتصَل به)، ومن ثم يصبح

[(121)] صالح خليل أبو أصبع، العلاقات العامة والاتصال الإنساني، ص16.

[21(2)] سامية محمد جابر، نعمات أحمد عتمان، الاتصال والإعلام تكنولوجيا المعلومات، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، (د ط)، 2003، ص396.

المتصل قادرا على تعديل رسالته، وتوجيهها، بحيث تصبح أكثر فاعلية أو إقناعا.(123)

2- المخاطِب والمخاطَب: ويتضح هذا في قصة صاحب الجنتين، وقصة موسى مع الخضر.

ففي قصة صاحب الجنتين ينطلق القرآن في هذا الاتجاه المتمثل في رفض اعتبار الثروة المالية، قيمة حياتية كبيرة، بعيدا عن الإيمان ومسؤوليته فيصور لنا صورة رجلين، يملك أحدهما الثروة والجاه والولد بينما لا يملك الآخر من ذلك كله، ما يملكه صاحبه، ولكنه يملك الإيمان بالله، والإحساس بعظمته وبفضله على الإنسان في كل شيء، مما يجعله يحس بنعم الله عليه في كل مظهر من مظاهر وجوده ويعرف إلى جانب ذلك قيمة الحياة ودورها ووظيفتها في مسؤولية الإنسان، فلا يستسلم لنعيمها، ولا يضعف أمام شقائها، لأنه يعلم أن ذلك كله بيد الله الذي اقتضت حكمته أن يزول ذلك كله، فلا يبقى للإنسان منه إلا النتائج العملية لما قام به من دور في الحياة.

وبهذا يتجسد لنا الفارق الكبير بين العقليتين، والاتجاهين في فهم الحياة من خلال الحوار الذي أداره القرآن بين الرجلين.

فنحن نرى – في الصورة– أن صاحب الجنتين قد بدأ الحوار مع صاحبه من موقع الإحساس بالقوة والفوقية والامتياز بسبب ما يملك من كثرة المال والأتباع. فكان خطابه – معه – ينطلق من محاولته لإخضاعه نفسيا بمواجهته بواقع الفارق الكبير بينهما، وتميزه عنه.(124)

قال تعالى: **(فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) الكهف 34.**

وكأنه يعيره ويقول له: لقد أنفقت مالك وبددته في غير محله، فانظر إلى مالي أنا فهو أكثر منك.(125)

(وهو يحاوره)، جملة حالية، والظاهر: أن ذا الحال هو القائل أي: يراجعه الكلام في إنكاره البعث وفي إشراكه بالله.(126)

---

(123) صالح خليل أبو أصبع، العلاقات العامة والاتصال الإنساني، ص16.

(124) محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن. قواعده. أساليبه. معطياته، 2/151- 153.

(125) إبراهيم بن عمر بيوض، في رحاب القرآن تفسير سورة الكهف، ص184.

ثم نلاحظ استسلام هذا الكافر لحالة الرخاء والنعيم اللذين يتمتع بهما واعتقاده استمرار ذلك كله في شعور طارئ بالخلود، وثقة كبيرة بالمستقبل كله في الدنيا والآخرة، لو كان هناك آخـــرة، فيمـــا يـــوحي بـــه تفكيـــره، انطلاقـــا مـــن إحساســـه بضـــخامة شخصـــيته على أساس أن حالته المالية والاجتماعية تفرض علو شأنه، ورفعة منزلته وكرامته لدى الله ولهذا، فإنه مطمئن إلى ذلك كله[127]، فهو حين يدخل جنتيه بهذه الأحاسيس التي تعيش معه، وتملك عليه تفكيره يقول مناجيا نفسه:[128]

(ما أظن أن تبيد هذه أبد ا!

وما أظن الساعة قائمة !

ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منهما منقلبا !)الكهف 35-36.

إن هذا استئناف مبني على سؤال نشأ من ذكر دخول جنته حال ظلمه لنفسه، كأنه قيل :فماذا قال إذ ذاك؟ [129] فقيل :(**قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا(35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَما مُنقَلَبا)الكهف 35-36** .

إن المخاطَب في هذا الحوار هو الأنا ذاته، فالكافر في هذا الموقف يناجي نفسه، وهذا ما يسمى بالاتصال الذاتي الذي يعني العملية الاتصالية التي تتفاعل وتأخذ مكانها داخل المرء نفسه [130]؛ إذ هو الاتصال الذي يتم بين الفرد وذاته حيث إنه فرد واحد يتصل مع نفســه، وهــذا النــوع مــن الاتصـــال مادتـــه هـــي الأفكـــار حيـــث إنـــه يتصـــل الإنســـان مـــع نفســـه ويســـتجمع أفكـــاره ورأيـــه حـــول موضـــوع أو فكـــرة معينـــة ثـــم تـــؤثر هـــذه الأفكـــار على سلوكه وطريقة تعامله مع الأشياء المادية أو تعاملاته اليومية، بحيث يتم إدراك الفرد لذاته ولعلاقاته بالعالم المحيط.[131]

---

[126] أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 119/6

[127] محمد حسين فضل الله،الحوار في القرآن، قواعده، أساليبه، معطياته، 153/2.

[128] عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص211.

[129] محمود السيد حسن، التعبير اللغوي في أمثال القرآن الكريم، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، (د ط)، 2001، ص408.

[130] صالح خليل أبو أصبع، العلاقات العامة والاتصال الإنساني، ص15.

[131] جمال محمد أبو شنب، نظريات الاتصال والإعلام المفاهيم، المداخل النظرية، القضايا، ص197.

فالإنسان يتحول تلقائيا إلى مرسل ومستقبل في آن واحد. وقد حظي هذا النوع من الاتصال باهتمام علماء النفس لارتباطه بالبناء المعرفي، والإدراك والتعلم وكافة السمات النفسية الأخرى، كما حظي باهتمام علماء الاجتماع.[132]

وحين يلجأ الإنسان إلى إجراء حوار داخل نفسه، يكون قد أقام جسور التواصل في ذاته باعتبار ذلك صورة من صور التواصل في أرض الواقع، وكون الحوار الداخلي مستكنا في داخلنا، لا يعني أن الإنسان قد غرق في عزلته عن واقعه ومجتمعه. فإن هذا الحوار صورة معدلة عن الواقع، وربما كانت محاكمة، بهدف ضبط متغيراته، والتحكم بإيجابيات الحياة الاجتماعية وسلبياتها، وتعديل ما اعوج من جوانبها،... وتصحيح عثراتها وهو على كل حال تواصل متعدد الجهات داخل جهة واحدة.[133]

وجاء المشهد الثاني إذ يصمت هذا الكافر المغرور،ليسمع كلام صاحبه المؤمن، الذي لم يعره انتباها [134]، وهنا في هذه الحادثة إذ نرى هاتف الخير والهدى يهتف بالرجل، ونتمثله رجلا آخر يحاوره ويجادله، فهذا صوت العقل،أو صوت الحق يهتف وراء هذا المغرور،الذي جمع من أسلاب وغنائم يريد أن يضم عليها يده ها هو ذا صوت العقل أو الحق يهتف به: أن قف: من أين لك هذا؟. [135]

قال تعالى:(**قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا**(37) **لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا**(38) **وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا** (39)**فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاء فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا**(40) **أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا) الكهف 37-41.**

فلم يشأ المؤمن أن يدعه يخوض في غمار الشرك وقصد أن ينتشله من براثنها ويذكره بآلاء الله عليه وكثير نعمائه عسى أن يتوب إلى بارئه.[136]

(وهو يحاوره) هي حال من الفاعل وهو صاحبه المؤمن.[137]

---

[132] سامية محمد جابر، نعمات أحمد عتمان، الاتصال والإعلام تكنولوجيا المعلومات،ص 395-396.

[133] سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال، والوظيفة، والمنهج، ص677.

[134] محمد الدالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية، ص186.

[135] عبد الكريم الخطيب،القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص214،213.

[136] محمود السيد حسن، التعبير اللغوي في أمثال القرآن الكريم، ص409.

(أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا). فهو استفهام تقريع وتوبيخ أي كيف تجهر بكفرك بالله الذي خلقك من تراب ؟ فذلك من صفات العاتين المتجبرين ولا يليق بالعقلاء أن يفعلوا ذلك، ورغم ما يتضمنه السياق من زجر وتقريع وتوبيخ إلا أن مراد كلام المؤمن يشتمل على النصح...فذكره بقدرة البارئ سبحانه.

وقد واجهه المؤمن بالتبكيت والقهر لدعواه الباطلة أعني دعوى الكافر الواهية، فقال:(لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا).

فدل ذلك على رسوخ الإيمان في أعماق وجدانه...وصرح بصفة الربوبية وكررها لاستشعار عظمة البارئ عز وجل، والاعتراف بالفضل العظيم وتذكر نعمه الجزيلة التي جحدها الكافر، وفيه تعريض بجرم الكافر أعني إشراكه بالله تعالى.

قوله تعالى: (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله).

هذا توجيه حكيم وإرشاد سديد من جانب المؤمن للكافر ورد عليه بالموعظة الحسنة[138] بعد أن قال الكافر:(قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا).

قوله تعالى:(**إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا**(39) **فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاء فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًاأَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً)الكهف 39- 41** .

قال المؤمن ذلك لما رأى الكافر يفتخر عليه بماله، ...والإخبار فيه يتضمن اللوم والتوبيخ ويكاشف بسريرة المؤمن التي تنطوي على قوة الرجاء وحسن الظن بالله، وذكره المؤمن بنقمة الله على الكافرين لينزجر عمّا هو فيه من جحود وشرك وضلال.[139]

ويفترق الرجلان وتنقطع المحاورة بينهما، دون أن ينتهي الخلاف بينهما، كل على رأيه. ويظل حل الخلاف معلقا، لا يدري أحد متى يحل، وعلى أي وجه يكون حله!

---

(137) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 6 /121.

(138) محمود السيد حسن، التعبير اللغوي في أمثال القرآن الكريم، ص410-412.

(139) المرجع نفسه، ص413.

ويجيء يوم ! فإذا صبحه ينكشف عن حدث مروع؛ تهتز له آفاق الجهة التي يعيش فيها هذان الرجلان لقد أصبحت الجنة أثرا بعد عين فلقد طاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصر يم! [140]

وصف الله هذه الواقعة بقوله جل وعز :(**وَأُحِيطَ بِثُمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا)الكهف42.**

(فأصبح يقلب كفيه)يقلب كفيه ظهرا لبطن وهو أنه يبدي باطن كفه ثم يعوج كفه حتى يبدو ظهرها[141] ، وهي فعلة النادم المتحسر على شيء.[142]

إن حركة اليد وهيئتها تملك نظاما دلاليا يتواصل به الناس، انظر لقوله تعالى: **(وَأُحِيطَ بِثُمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا)الكهف 42.**

إن اليد تستطيع أن تنطق – إذا صح التعبير– بعشرات المعاني مثل النداء، والطلب والقبول والرفض، والتهديد والوعيد، والمصافحة عند اللقاء، والتوديع عند الفراق، وتؤدي أصابع اليد منفردة ومجتمعة دورا مهما في تحديد هذه المعاني.[143]

ويتبين من ظاهر الآية أن الإهلاك كان ليلا، فلما أصبح روع قلبه برؤية المفاجأة، قال سبحانه :(فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها) .وهو تصوير لحال الكافر وقد ملأه الكرب وشملته الحسرة،...فإن من عظمة حسرته يصفق إحدى يديه على الأخرى، وإنما لحقته الندامة لإعراضه عن نصح أخيه وهزئه بكلامه .

وأعقب على هذا البيان إقرار الكافر على نفسه بالذنب العظيم والجرم الأثيم وتمنى لو لم يكن مشركا: (ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا).

وإنما قال ذلك لمعاينته لآثار البلاء وما ترتب عليه من أضرار جسيمة تفشت بخطورتها في جنته وأملاكه حتى لم يعد يملك شيئا، وقد تذكر موعظة أخيه من قبل حين زجره عن الشرك بالله[144] ، فقال المؤمن(ولا أشرك بربي أحدا).

---

[140] عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص147.

[141] وقيل يصفق بيده على الأخرى ويقلب كفيه ظهرا لبطن، وقيل: يضع باطن إحداهما على ظهر الأخرى، (ينظر أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 6 /123).

[142] أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 123/6.

[143] كريم زكي حسام الدين، الإشارات الجسمية دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل، ص78.

[144] محمود السيد حسن، التعبير اللغوي في أمثال القرآن الكريم، ص420،418.

ويحتمل أنه قال ذلك توبة ويحتمل أنه قال تحسرا على تلف المال وهذا هو الأقرب، إذ يؤيده قوله :(**وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا) الكهف43.**

إذا لو تاب فأسلم لكان المؤمنون أنصارا له، والسياق ينفي وجود العضد والنصير.[145]

إن هذا الحوار هو حوار ثنائي، جرى بين متحاورين[146]، المؤمن والكافر، وهو اتصال شخصي تم بين مرسل ومستقبل وجها لوجه.

إن مادة الاتصال الشخصي هي الأفكار... وتعتبر اللغة من المواد في عملية الاتصال الشخصي حيث إنها الوسيلة لنقل الأفكار إلى كلمات مسموعة. [147]

فالحوار دار بينهما بحرية تامة لا أثر للضغط على المخاطَب (الكافر) من طرف المخاطِب (المؤمن)؛ الذي يطالبه بمشاركته اعتقاداته، لكن مطالبته هذه لا تكتسي صبغة الإكراه ولا تدرج على منهج القمع، وإنما تتبع في تحصيل غرضها سبلا استدلالية متنوعة تجر الغير جرا إلى الاقتناع برأي المحاور.[148]

إن كلا من المتحاورين يقوم بدور المرسل والمستقبل في آن واحد، فيتحول المرسل إلى مستقبل، كما يتحول المستقبل إلى مرسل على نحو متبادل ومتغير، فالاتصال دائري يفسح مكانا لردود أفعال المستقبل للرسالة الاتصالية ووصولها مرة أخرى إلى مرسل الرسالة فيما يسمى برجع الصدى أو التغذية المرتدة" ***feed back***."[149]

ونقف في الأخير مع قصة موسى عليه السلام، فيما واجهه من قضايا الحوار أمام حواره مع العبد الصالح في قصة رائدة،أراد الله لموسى فيها أن ينفتح على توجيه جديد، يحتاجه العاملون من أصحاب الرسالات فيما يواجهونه من مفاجآت وأحداث.

---

[145] المرجع نفسه، ص420.

[146] ينظر عمار زرقين، بنية الحوار في الخطاب القرآني قصة موسى عليه السلام أنموذجا، رسالة ماجستير، مخطوط جامعة باتنة، 2003-2004، ص150.

[147] جمال محمد أبو شنب، نظريات الاتصال والإعلام المفاهيم، المداخل النظرية، القضايا، ص199.

[148] طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص38.

[149] سامية محمد جابر،نعمات أحمد عتمان، الاتصال والإعلام تكنولوجيا المعلومات، ص393.

وخلاصته: أن وراء الأشياء الظاهرة التي يلتقي بها في حياته، أمورا غيبية خفية، قد تبدل الصورة، وتغير النظرة ليخرج – بعد ذلك – بنتيجة مختلفة كل الاختلاف عما كونه من آراء واستنتاجات.

وقد أراد الله لموسى عليه السلام، أن يواجه هذا الموضوع، وينفتح عليه في تجربة حية،مع بعض عباد الله الصالحين المغمورين الذين آتاهم الله رشدا من لدنه، وعلمهم علما مما عنده .

ولعل قيمة هذه التجربة أنها تتصل ببعض القضايا التي تدخل في نطاق اختصاص موسى – النبي– أو الذي أعده الله ليكون نبيا ،وهي القضايا المتصلة ببعض الجوانب التشريعية التي قد يكون حكمها الظواهر العادية شيئا، ولكنها قد تأخذ حكما آخر في حالة الاطلاع على الجوانب الخفية في الموضوع.[150]

قوله تعالى :(**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ**) **الكهف60.**

ويجوز أن يكون المعنى: لا أبرح ما أنا عليه، بمعنى:ألزم المسير والطلب ولا أتركه ولا أفارقه حتى أبلغ مجمع البحرين. [151]

فأخذ موسى للأمر عدته، واصطحب فتاه، وحمّله المِكْتل ووضع الحوت فيه كما أوحى إليه ربه، وظل سائرا وقبلته الرجل، وأخذ على نفسه عهدا أنه سيظل مجدا في السير ممعنا في الطلب،حتى يبلغ هذا المكان، ولو مضت عليه الأيام، أو تعاقبت السنون، ثم آذن الفتى أن يخبره إذا فقد الحوت.

ولما بلغا مجمع البحرين، في المكان الذي أراد الله أن يلتقي فيه نبي بني إسرائيل بعبده الصالح، أخذت موسى سنة فنام وفي أثناء نومه هضبت السماء، فابتل الحوت وانتفض وسرت إليه الحياة ثم قفز إلى الماء.

واستيقظ موسى υ ونادى فتاه: هيا نواصل السير والسرى. وأنسى الشيطان الفتى ما كان من أمر الحوت، وتابعا المسير إلى أن أدركهما التعب وأحسا الجوع، فقال موسى لفتاه: آتنا غداءنا، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا.

---

[150] محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن قواعده. أساليبه. معطياته، 2/86-87.

[151] الزمخشري، تفسر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، في وجوه التأويل، 2/731.

ولما همَّ أن يأخذ الغداء من المكتل تذكر ما كان من أمر الحوت وذهابه في الماء، فقال:أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة،وحين غشاك النعاس، فإن الحوت قد اتخذ سبيله إلى الماء ونسيت أن أذكرك [152]،(**وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ**)**الكهف 63.**

نعم هو الذي نسيه؛ الفتى وحده،وما أجمل هذا الاعتذار المقنع![153]

وحينئذ لاحت لموسى شارة الظفر، ووجد ريح الرجل فقال: ذلك ما كنا نبغيه وننشده هيا بنا نعود إلى هذا المكان فإننا سنصيب الغاية، ورجعا يتتبعان الأثر ويتعرفان الطريق .

ولما وصلا إلى حيث فقدا الحوت وجدا رجلا...فسلم عليه موسى... وقال: هل بأرضي من سلام ! من أنت ؟ قال: أنا موسى ! قال: موسى نبي بني إسرائيل ؟ قال: نعم، ومن أعلمك بهذا! قال: الذي بعثك إلي.

فموسى بدأ العلاقة بإلقاء التحية والسلام على الخضر،وهذا ليستجيب له استجابة مناسبة فالمبادأة الإيجابية تخلق عملية اتصالية إيجابية.

ومن هنا علم موسى أنه ضالته التي ينشدها، وبغيته التي جهد في سبيلها، فتلطف في القول وتجمل بأحسن ما وهبه الله من أدب الحديث، وفضل التواضع. [154]

في هذه القصة دليل على الحث على الرحلة في طلب العلم، وعلى حسن التلطف والاستنزال والأدب في طلب العلم، بقوله: (**هَلْ أَتَّبِعُكَ**)**الكهف 66.** وفيه المسافرة مع العالم لاقتباس فوائده، والمعنى هل يخف عليك ويتفق لك [155]، وكذلك ينبغي أن يكون الإنسان مع من يريد أن يتعلم منه.

ويقول العبد الصالح إنك لن تستطيع معي صبرا، ويعلل ذلك بقوله:(**وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا**)**الكهف 68.** ولكن موسى يعده بالصبر معلقا ذلك الوعد على المشيئة، ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا،ونلحظ هنا أنه قد انتهت مهمة الفتى الذي كان مع موسىυ فقد رجع من حيث جاء.[156]

[152] محمد أحمد جاد المولى، وآخرون، قصص القرآن، ص140.
[153] فضل حسن عباس، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ص317.
[154] محمد أحمد جاد المولى وآخرون، قصص القرآن، ص141.
[155] أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 139/6.
[156] فضل حسن عباس، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ص317.

لقد كان موسى عليه السلام يظن – قبل التأويل – أنه إزاء سلوك بشري محض، في إمكانه بطاقته البشرية أن يدرك مرماه، وفي استطاعته أن يصبر – إن لم يدرك– عن السؤال عنه، ومن ثم وعد بهذا الصبر قبل وقوع تلك الأحداث[157] **(قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا) الكهف 69** .

وبقي العبدان الصالحان النبي العبد، والنبي الكليم، وتحدثنا الآيات عما كان بينهما، **(قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) الكهف70.**

شرط عليه قبل بدء الرحلة ألا يسأله ولا يستفسر عن شيء من تصرفاته حتى يكشف له سرها، فقبل موسى شرطه رعاية لأدب المتعلم مع العالم.[158]

وسارا على الساحل، حتى لمحا سفينة في البحر، فطلبا من أهلها حملهما إلى حيث يذهبون[159]، فيركبها موسى والعبد الصالح وكأنهما بعض المتعاملين معها... وإذا بالعبد الصالح يتدسس إلى السفينة فيحدث فيها خرقا ويسبب لها عطبا ويرى موسى هذا المشهد فلا يملك أن ينكر على صاحبه فعلته تلك وحق له أن ينكره، ...ويصرح موسى بهذا الإنكار، ويكاد يصرخ به في وجه صاحبه، ويدينه به أمام أصحاب السفينة...ولكنه يذكر العهد الذي أخذه عليه صاحبه **(إِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) الكهف 70.**

ومع هذا فإنه لا يحتمل هذا التمزق في وحدة تفكيره، فيهمس في أذن صاحبه منكرا هذه الفعلة [160]: **(أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا؟. لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) !!الكهف 71.**

فالتفت الخضر إليه، وما زاد على أن ذكره بشرطه بلطف وما قدَّره من قبل أنه سوف لا يصبر على سؤال، ...وقال:**(أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)الكهف 72.** وحينئذ أدرك موسى ما وقع فيه من خطأ، وما تورط فيه من نسيان، فاعتذر إليه... وقال: لا تؤاخذني

---

[157] حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية،دار الفكر العربي، القاهرة، (د ط)، 1998، ص66.

[158] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، 199/2 .

[159] محمد أحمد جاد المولى وآخرون، قصص القرآن، ص 142.

[160]عبد الكريم الخطيب،القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف،ص173-174.

بما نسيت ولا تحرمني شرف الصحبة، وفضل المرافقة، وسأكون بعد الآن كما شرطت(161)، فالأمر الذي وقع أمر شنيع لا يمكن السكوت عليه فرفقا بي !!(162)

ويصحب موسى صاحبه على مضض، لعله يكشف من أمره جديدا. ويمضيان فيلتقيان بغلام ثم لا يلبث العبد الصالح أن يجد فرصة مواتية له، فيقتل هذا الغلام! بلا ذنب فعله، ولا جريمة أتاها .

ولولا بقية صبر عند موسى لفتك بصاحبه، فموسى يؤثر الصبر هذه المرة أيضا، ليرى من صاحبه جديدا،لعله يلقى أضواء على فعلاته تلك.

وينطلق موسى مع صاحبه بعد أن يقف موقفا لائما عاتبا منكرا(163):**(أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا !؟) الكهف 74.**

فالتفت إليه الخضر، ولم يزد على أن ذكره بعهده، وما كان من شرطه، قائلا: **(أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا)الكهف 75 .**

وهنا استحيا موسى، وأدرك أنه قد أثقل على هذا العبد الصالح، وكان خليقا به أن يدرع بالصبر ،ويمسك لسانه عن الجدل،حتى يفصح له بعد عما خفي من أمره،... وخشي إن تمادى أن يقع منه على موجدة أو كراهية، فاتخذ لنفسه شرطا ألا يعجل بسؤال بعد الآن، وإلا فإن رفيقه في حل من مفارقته، وقطع صحبته(164)، وقال: **(إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا)الكهف 76.**

(إن سألتك) وهذه الجملة وإن لم تكن سؤالا فإنها تتضمنه.(165)

وينطلق موسى وصاحبه ويستمر الحوار على هذه الحال، حتى يصلا إلى قرية من تلك القرى القائمة على طريقهما، ويستطعمان أهلها، فلا يحصلان على شيء...ويلمحان بين بيوت القرية بيتا متداعيا تكاد جدره أن تتهاوى وتتساقط، ويمد العبد

---

(161) محمد أحمد جاد المولى وآخرون،قصص القرآن، ص142 .

(162) عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص174.

(163) المرجع نفسه، ص174-175.

(164) محمد أحمد جاد المولى وآخرون،قصص القرآن، ص143 .

(165) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 144/6 .

الصالح يده على هذا البناء المتداعي فيقيمه، بلا دعوة من أحد ولا أجر يأخذه على هذا العمل الذي بذل له ما بذل من جهد !.

ويطفح الكيل بموسى، فيلقي إلى صاحبه بتلك الفاصلة التي تقطع ما بينهما من صحبة:(**قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا!) الكهف77.**

ويتنفس موسى الصعداء، ويخرج من هذه الدوامة التي كانت تضطرب في كيانها، وتكاد تفسد عليه عقله ورأيه وتدبيره!

فلقد أجهده أيما إجهاد هذا الشوط الذي قطعه مع صاحبه ويفترقان إلى غير لقاء. ولكن بعد أن يكشف العبد الصالح لموسى الغطاء عن هذا الغيب المستور! [166]

وهكذا كانت احتجاجات موسى تتلاحق وتشتد في كل حالة من هذه الحالات حتى كانت الحالة الأخيرة التي سبقها التعهد الأخير بالصبر من قبل موسى؛ وإعطاء صاحبه الحرية في أن يفارقه، إذا استمر في إثارة السؤال وفي نفاد الصبر.

وهكذا كان ولم يستطع موسى الصبر وفي الحالة الأخيرة وبدأ العبد الصالح بعد أن نفذ تهديده بالفراق،(**قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا) الكهف78.**

يشرح لموسى كل شيء ويوضح له طبيعة الأعمال التي أثارت استنكاره، وكيف كانت مرتبطة بأمر الله لا برأيه الشخصي.[167]

لقد أشرنا سابقا أن حركة اليد وهيئتها تملك نظاما دلاليا يتواصل به الناس، فنجد جذب المتكلم لثياب من يتواصل معه في مواقف التوتر والشجار له دلالة معينة، ومثال ذلك ما يذكره أبو حيان عما دار بين موسى والخضر عليهما السلام قائلا:«... روي أن موسىυ لما عزم الخضر على مفارقته أخذ بثيابه، وقال لا أفارقك حتى تخبرني بم أباح لك فعل ما فعلت، فلما التمس ذلك منه أخذ في البيان والتفصيل...». [168]

---

[166] عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف،ص175-176.

[167] محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن قواعده، أساليبه، معطياته، 90/2.

[168] أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 145/6.

وفي هذا قال الله تعالى:(**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَردتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا(79) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا(80) فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا(81) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تسطع عَّلَيْهِ صَبْرًا) الكهف 79-82 .**

فبعد تأويل تلك الأحداث، وبعد أن بين العبد الصالح الحكمة الإلهية الباعثة على كل منها(وما فعلته عن أمري)، فقد أيقن موسى عليه السلام بطاقته البشرية أنه كان عاجزا تماما عن استكناه تلك الحكم، ومن هنا كان العدول عن صيغة لم تستطع التي تعني (عجز المحاولة) عند تعلقه عليه السلام بظواهر تلك الأحداث إلى صيغة لم تسطع التي تعني (عجز التسليم) عند اطلاعه على ما يكمن خلف تلك الظواهر من خفايا وأسرار.

فكل من الصيغتين تدل في نفيها على عجز موسىυ عن الصبر - الذي وعد به من قبل- عن سؤال العبد الصالح كي يفسر له ما قام به من أحداث عجيبة (خرق السفينة- قتل الغلام- إقامة الجدار). [169]

ونستمع إلى القصة من آيات الكتاب الكريم، حيث يقول الله سبحانه :(**فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا** ...) إلى قوله تعالى(**ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تسطع عَّلَيْهِ صَبْرًا) الكهف 65-82.**

فنجد موسى يدور في فلك، وصاحبه يدور في فلك آخر، كل منهما يريد أن يجذب صاحبه إليه، دون جدوى، موسى يدور في فلك الواقع الذي يعرفه الناس، والعبد الصالح يدور في فلك علوي تدور فيه أفلاك العوالم كلها في الأرض وفي السماء.

وانظر كيف رضي موسى كل الرضا عن فعل صاحبه الذي أنكره من قبل أشد الإنكار وذلك حين كشف له عن وجه الحقيقة المطلوبة في عالم الغيب، وأن السفينة التي خرقها العبد الصالح،لو علم موسى ما يعلم العبد الصالح بشأنها، وما يحيط بها

(169) حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص66.

وبأصحابها، لو علم موسى هذا لخرقها بيده، قبل أن يخرقها صاحبه، وكذلك لو علم من أمر الغلام ما يعلم العبد الصالح لأقامه بيده .[170]

افتتح الحوار بين موسى والخضر بالسؤال (هل أتبعك). ثم جاء رد الخضر على السؤال واستمر الحوار بينهما، فكل طرف يسعى إلى تغيير موقف محاوره والتأثير عليه.

فالسؤال مفتاح الاستمرارية في الحوار، الذي دفع موسى إلى الرد وحمله على المشاركة في الحوار، وقد كشف الرد على السؤال في حوار موسى υ مع الخضر شدة الحرص على المعرفة دون اعتراض، وحصل الرد على أسئلة موسىυ بإظهار المعجزات في سلسلة من الأحداث المتتالية.[171]

والطلب هو الدافع الذي يدفع المحاور على الرد والمشاركة، ومناقشة الطرف الآخر في آرائه حول تكوين العلاقة لتدعيمها.

إذن فالطلب والرد والتصرفات التي كانا يتصرفان بها، لدليل على أنهما مهتمان بالاستماع إلى بعضهما، ويودان ذلك.

إن هذه الخاصية التي تتميز بها شخصية موسى تخلق جوا طبيعيا هادئا، وتضمن الاتصال والمواصلة الحوارية بين المتحاورين، وتبعدهم عن الانفعال وإنهاء الحوار[172]، فالطرفان يتبادلان الحوار والأقوال، وبذلك يتحقق مبدأ الاتصال بين الطرفين.

وبهذا كانت العلاقة المتبادلة بينهما علاقة صحبة، ترتكز على السعي نحو المعرفة، في إطار من الانضباط والواقعية.[173]

فهذا حوار ثنائي مشكل من شخصيتين متحاورتين فالأولى تبادر الكلام من أجل التواصل مع الآخر، ويمثل بداية الحوار، والشخصية الأخرى ترد عليها وتتفاعل معها، وتشاركها في الحوار؛ فالمتلقي لم يعد سلبيا يقتصر دوره على التلقي، وإنما أصبح متلقيا إيجابيا يتلقى ما يتلقاه ويفكر فيه، ثم يرد ويناقش ويفند ويدعم، لينتقل – بذلك – من موقع التلقي إلى موقع الإرسال، وينتقل المرسل – بالتالي– من موقع الإرسال إلى موقع التلقي،

---

[170] عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص176.

[171] ينظر عمار زرقين، بنية الحوار في الخطاب القرآني قصة موسى عليه السلام أنموذجا، ص93.

[172] المرجع نفسه، ص40.

[173] محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن قواعده . أساليبه. معطياته، 89/2.

فالطرفان يتبادلان فيما بينهما المواقع، فكل طرف يحاول تفهم أبعاد الشخصية التي يتعامل معها ويسعى إلى تكوين علاقة معها .

إذن فالعلاقة بين المرسل والمستقبل ليست رأسية، فبحكم إيجابية المتلقي فهو يقف في درجة موازية لدرجة المرسل، فالعلاقة بينهما أفقية.

وما نلاحظه في الحوار الذي دار بين الأطراف المتحاورة في هذه السورة أن كل جملة يجيء ترتيبها على مراتب متمايزة، كل مرتبة منها تشهد ظهورا مختلفا لذات المتكلم، وقد لا يحصِّل المخاطب الفائدة إلا بمرتبة واحدة فيها.

مما يترتب على هذا، أن الخطاب " التحاوري" بنيان من طبقات تتعدد بتعددها ذوات المتحاور، وتختلف باختلافها وظائفه الخطابية .[174]

فهذه إذن مجموعة من جوانب الحوار في السورة، التي تكشف لنا عن شخصيات المتحاورين، وعن الأساليب المستخدمة لزرع التأثير في المخاطَبين وكيف تسير في خط الإقناع، حتى تحدث وقعا عميقا. والسورة كانت نموذجا للحوار الذي « نجد فيه القرآن يذهب بالأسلوب الحواري كل مذهب، ويلونه ألوانا مختلفة، حسب مقتضى الحال، وداعية المقام».[175]

---

[174] طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص53.

[175] عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، ص124.

الخــاتــمة

بعد الدرس والبحث نصل إلى الخاتمة، لا لنختم القول؛ لأنه لا ختام في علم. ولا أخير في ميدان الفكر والقلم، بل لنقول ونسجل ما أتت عليه الدراسة من نتائج.

ففي ضوء النتائج الجزئية التي سبق استقراؤها في المدخل وفصول البحث يمكنني أن أستخلص النتائج العامة التي اشتملت عليها هذه الدراسة المتواضعة، وهي كما يلي:

1- الحوار في القصة القرآنية أداته السؤال والجواب، والجواب شديد اللصوق بالسؤال فلا جواب إلا بالسؤال، ولا سؤال إلا بالجواب.

2- في الحوار أخرج القرآن خبايا النفوس، وهو الروح الذي يسري في كيان العمل القصصي، وبغير الحوار يتحول هذا العمل إلى كتلة باردة متحجرة من الكلمات.

3- بعد تناولي بالدراسة لسورة الكهف ،أخلص إلى بعض النتائج،اتضح لي من خلالها أن القصص القرآني يختلف كل الاختلاف عن القصص الأدبي، فهو يخرج عن كل ألوان الخيال والرمز، هو حقيقة صادقة بنيت بناء محكما، وهي قصص صادقة الحديث شريفة الغاية كريمة المقصد.

4- إن الله سبحانه وتعالى قد ساق لنا أمثلة في سورة الكهف، ليقول لنا لا تحكموا بالمقاييس الدنيوية، فعندي أنا العلم، وأنكم لا تستطيعون الصبر، لأن ما أمامكم هو الظاهر، وما عندي هو الحقيقة،وما تحسبونه شرا قد يكون خيرا، وما تحسبونه خيرا قد يكون شرا.

5- الحوار هو العنصر المهم البارز في السورة، وهو ظاهرة غالبة على النص، فهو يعطي صبغة مغايرة تضفي على العمل روحا وحركة ديناميكية.

6- إن القصص القرآني لكي يكون قصصا مثمرا نافعا، فقد جاء على وفق الحياة التي يحياها الناس، ولم يخرج على مألوفها؛ أي القصة القرآنية منتزعة من الواقع الوجودي للناس، في أحداثها وأشخاصها وأمكنتها وأزمنتها .

7- القصص القرآني جاء ليعمق العقيدة في النفوس، ويبصر بها العقول، ويحيي بها القلوب، وركزت القصة القرآنية على الصفات الخيرة للأنبياء؛ ليكون للناس فيهم أسوة.

8- إن القصص القرآني هو أنباء وأحداث تاريخية، لم تتلبس بشيء من الخيال، ولم يدخل عليها شيء غير الواقع، وستبقى القصة القرآنية إذن الشعلة التي تضيء لهذا الإنسان لتصل حاضره بماضيه، وستبقى الوثيقة الوحيدة الصادقة الخالدة التي يطمئن الإنسان لمصداقيتها .

9- إن أحداث ووقائع القصص القرآني تتكون من الأنباء والأخبار التي بعد بها الزمن، ومضت مع الدهر البعيد، فهو لا يتعرض لشيء من واقع الحال أو متوقعات المستقبل، كما هو الشأن بالنسبة لكثير من القصص الأدبية، التي تصور كثيرا من الأحداث والوقائع الجارية في الحياة اليومية، أو تعبر عن رؤى مستقبلية جديدة.

10- إن القصة القرآنية قصة فنية، ومن مظاهر الفن فيها، تنوع طريقة عرضها في نقطة البداية، وتنوع طرق عرض المفاجأة فيها، وتقسيمها إلى مشاهد، وترك الفجوات بين المشهد والمشهد يملأها الخيال .

11- هذا ونستطيع أن نشير إلى أن سيد قطب هو قطب من أقطاب دراسة التصوير الفني في القصة القرآنية، الذي زاوج بين الغرض الديني، والغرض الفني في دراسته للقصة القرآنية، حيث راح يحلل القصة القرآنية ويبين ما فيها من أغراض دينية وخلقية واجتماعية، ثم بعد ذلك يذكر السمات الفنية للقصة، ويبين ما فيها من جمال فني.

12- اللغة هي أداة تواصل فعالة، لأنها الأكثر استخداما في حياتنا اليومية.

13- تختلف طرق التواصل في القرآن الكريم، فقد يكون تواصلا ذاتيا،أو بين طرفين متحاورين.

14- لقد أسهم السؤال والجواب في سورة الكهف على تجسيد عرض تمثيلي، يبرز مشاهد حية، وهذا في سياق حواري جذاب أداته السؤال والجواب.

15- إن قيمة الحوار هي تبسيط الفكرة في جميع مجالاتها، فكل طرف من أطراف الحوار يحاول أن يثير الجوانب التي يؤمن بها ويدافع عنها.

وهناك نقطة أخرى يتميز بها الحوار، وهي أنها تجسد الموقف أمامك، فتشعر فيه بالحياة المتحركة التي تنتقل من موقف إلى موقف، ومن جو إلى جو، وتعيش فيها الأحداث الماضية من خلال أبطالها الذين تشعر بهم – وأنت مندمج في القصة – يتحركون أمامك في أدوارهم وأوضاعهم كما لو كنت حاضرا معهم .

وفي الختام أرجو أن أكون قد ألممت من خلال هذه الدراسة بجوانب الموضوع، في إطار التمكن من دراسته دراسة موسعة، وأملي أن أكون قد أسهمت ولو بلبنة صغيرة في خدمة كتاب الله، مستمدة من الله العون والتوفيق،متضرعة أن يلهمني الصواب.

اللهم اجعلنا ممن يسهمون ويعطون لا ممن يأخذون؛ لأن اليد العليا خير من اليد السفلى ، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى الرشد.

قائمة المصادر و المراجع

*** القرآن الكريم، بقراءة حفص.**

1. **إبراهيم بن عمر بيوض**، في رحاب القرآن تفسير سورة الكهف، تحرير: عيسى بن الشيخ بالحاج، جمعية التراث، غرداية، (د ط)، 1994.
2. **أحمد حساني**، دراسات في اللسانيات التطبيقية –حقل تعليمية اللغات- ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، (د ت).
3. **أحمد علي المجدوب**، أهل الكهف في التوراة والإنجيل والقرآن، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط3، 1998.
4. **أحمد ماهر**، السلوك التنظيمي مدخل بناء المهارات، الدار الجامعية، الإسكندرية، (د ط)، 2000.
5. **أحمد مومن**، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 2002.
6. **إسماعيل علي سعد**، الاتصال الإنساني في الفكر الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2002.
7. **أنسي محمد أحمد قاسم**، اللغة والتواصل لدى الطفل، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة، (د ط)، 2002.
8. **بكري شيخ أمين**، التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، ط3، 1979.
9. **الجاحظ(أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب)**، البيان والتبيين، قدم لها وبوبها وشرحها الدكتور علي أبو ملحم، منشورات دار ومكتبة الهلال، ط2، 1991.

- **الجاحظ**، البيان والتبيين، وضع حواشيه موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998.

10. **الجاحظ(أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب)**، الحيوان، شرح وتحقيق يحي الشامي، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، ط3، 1997.
11. **عبد الجليل مرتاض**، اللغة والتواصل (اقتربات لسانية للتواصلين: الشفهي والكتابي)، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، (د ط)، 2006.

12. **جميل عبد المجيد**، البلاغة و الاتصال، دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د ط)، 2003.
13. **جمال محمد أبو شنب**، نظريات الاتصال والإعلام المفاهيم، المداخل النظرية، القضايا، القاهرة، (دط)، 2000.
14. **ابن جني (أبي الفتح عثمان بن جني)**، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، (د ط)، (د ت).
15. **حسن طبل**، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ط)، 1998.
16. **حسن منسي**، ديناميات الجماعة والتفاعل الصفي، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، ودار طارق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1998.
17. **أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف)**، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001.
18. **خالد أحمد أبو جندي**، الجانب الفني في القصة القرآنية- منهجها وأسس بنائها-(نظرية بناء القصة الفنية في القرآن الكريم)، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، (د ط)، (د ت).
19. **ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد بن خلدون)**، المقدمة، ضبط وشرح وتقديم محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، (د ط)، 2005.
20. **الراغب الأصفهاني(الحسن بن محمد بن المفضل)** مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط2، 1997.
21. **الزبيدي(محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسني الوسيطي الزبيدي الحنفي)**، تاج العروس من جواهر القاموس، دراسة وتحقيق علي بشري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د ط)، 1994.محمد
22. **الزمخشري(أبو القاسم جاد الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري)**، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998.

23.**الزمخشري(أبو القاسم جاد الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري)**، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الناشر دار العربي، بيروت، (دط)، (د ت).
24.**سامية محمد جابر، ونعمات أحمد عثمان**، الاتصال والإعلام تكنولوجيا المعلومات، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، (د ط)، 2003.
25.**سلوى عثمان الصديقي**، وهناء حافظ بد وى، أبعاد العملية الاتصالية رؤية نظرية وعملية وواقعية، المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة، (د ط)، 1999.
26.**سليمان عشراتي**، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 1998.
27.**سمر روحي الفيصل، ومحمد جهاد جمل**، مهارات الاتصال في اللغة العربية، دار الكتاب الجامعي، الأمارات العربية المتحدة، ط20041، .
28.**سمير شريف استيتية**، اللسانيات المجال، والوظيفة، والمنهج، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2005.
29.**سيد قطب**، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، ط8، 1983.
30.**سيد قطب**، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط12، 19863
31.**شحدة فارع، وموسى عمايرة، وآخرون**، مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل للطباعة والنشر، ط1، 2000.
32.**شوقي ضيف**، تاريخ الأدب العربي2 العصر الإسلامي، دار المعارف، مصر، ط6، (د ت).
33.**صالح خليل أبو أصبع**، العلاقات العامة والاتصال الإنساني، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1998.
34.**صلاح الدين عبد التواب**، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط1، 1995.
35.**طه عبد الرحمان**، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2000.

36. **ابن عاشور(محمد الطاهر بن عاشور)**، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (د ط)، 1984.
37. **العرابي لخضر**، الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، (د ط)، (د ت).
38. **العرابي لخضر**، مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، (د ط)، (د ت).
39. **غريب سيد أحمد**، علم اجتماع الاتصال و الأعلام، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، (د ط)، 2002.
40. **ابن فارس (أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا)**، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991 .
41. **فضل حسن عباس**، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ط)، (د ت).
42. **الفيروزابادي(مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروزابادي الشيرازي الشافعي)**، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999.
43. **عبد الكريم الخطيب**، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، (د ط)، (د ت).
44. **كريم زكي حسام الدين**، الإشارات الجسمية دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2001.
45. **محمد أحمد جاد المولى وآخرون**، قصص القرآن، دار الجيل، بيروت، ط13، 1985.
46. **محمد أحمد خلف الله**، الفن القصصي في القرآن الكريم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1965.
47. **محمد الدالي**، الوحدة الفنية في القصة القرآنية، ط1، 1993.
48. **محمد الصغير بناني**، النظريات اللسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 1994.
49. **محمد العمري**، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، المغرب، (د ط)، 1999.

50.**محمد العمري**، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري و تطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجا، أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002 .
51.**محمد الغزالي**، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط7، 2005.
52.**محمد حسين فضل الله**، الحوار في القرآن قواعده.أساليبه.معطياته، دار المنصوري للنشر، قسنطينة، (د ط)، (د ت).
53.**محمد علي الصابوني**، صفوة التفاسير، دار الضياء، قسنطينة، ط5، 1990.
54.**محمد فؤاد عبد الباقي**، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الجيل، بيروت، (د ط)، (د ت).
55.**محمد كشاش**، اللغة والحواس رؤية في التواصل والتعبير بالعلامات غير اللسانية، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2001.
56.**محمد كشاش**، صناعة الكلام كيفية اكتساب مستحسن الخطاب ومسكت الجواب في ضوء الأساليب التربوية، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2000.
57.**محمد كشاش**، لغة العيون حقيقتها، مواضعها وأغراضها، مفرداتها وألفاظها، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1999.
58.**محمد متولي الشعراوي**، معجزة القرآن، إعداد أحمد زين، شركة الشهاب، الجزائر، (د ط)، (د ت).
59.**محمد موسوني**، السؤال والجواب دراسة نحوية، وبلاغية وقرآنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 2001.
60.**محمود السيد حسن**، التعبير اللغوي في أمثال القرآن الكريم، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، (د ط)، 2001.
61.**محمود السيد حسن**، روائع الإعجاز في القصص القرآني دراسة في خصائص الأسلوب القصصي المعجز، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط2، 2003، القاهرة، ط7، 2005.
62.**محمود تيمور**، القصة في الأدب العربي وبحوث أخرى، منشورات المكتبة العصرية صيدا وبيروت، (د ط)، (د ت).

63.**ابن منظور.(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري)**، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1997.

64.**نادية رمضان النجار**، فصول في الدرس اللغوي بين القدماء والمحدثين، مراجعة وتقديم عبده الراجحي، الناشر دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2006.

65.**نصر حامد أبو زيد**، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط6، 2005.

66.**نور الهدى لوشن**، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، (د ط)، (د ت).

67.**ابن هشام(أبي محمد عبد الملك بن هشام)**، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د ط)، (د ت).

68.**أبو هلال العسكري(الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران العسكري)**، كتاب الفروق، قدم له وضبطه وعلق حواشيه وفهرسه الدكتور أحمد سليم الحمصي، جرس برس، لبنان، ط1، 1994.

الرسائل الجامعية:

69. **عمار زرقين**، بنية الحوار في الخطاب القرآني قصة موسى عليه السلام أنموذجا، رسالة ماجستير ، مخطوط جامعة باتنة، 2003-2004.

المجلات و الدوريات :

70. **بلقاسم دفة**، بنيةالخطاب السردي في سورة يوسف دراسة سيميائية،مجلةالمصطلح، جامعة أبي بكر بلقايد ،تلمسان،العدد5،يناير ،2007.

ملحـق:

§§ سورة الكهف(مكية)110 §§~

Π

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا{1} قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً
شَدِيداًمِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً{2} مَاكِثِينَ
فِيهِ أَبَداً{3} وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً{4} مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ
كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً{5} فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن
لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً{6} إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ
عَمَلاً{7} وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً{8} أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ
وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً{9} إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ
رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً{10} فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً{11}
ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً{12} نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم
بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى{13} وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا
رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً{14} هَؤُلَاء
قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى
اللَّهِ كَذِباً{15} وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم
مِّن رَّحمته وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً{16} وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ
ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ
مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً{17} وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً
وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ

عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً{18} وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ
قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا
أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا
يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً{19} إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن
تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً{20} وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ
فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا
عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً{21} سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ
سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا
يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاء ظَاهِراً وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَداً{22} وَلَا
تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً{23} إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ
عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً{24} وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ
وَازْدَادُوا تِسْعاً{25} قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ
مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً{26} وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ
رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً{27} وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ
رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ
مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً{28} وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن
شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا
يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً{29} إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً{30} أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ
تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن
سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً{31} وَاضْرِبْ
لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا
زَرْعاً{32} كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَراً{33}
وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً{34} وَدَخَلَ جَنَّتَهُ

وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً{35} وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ
إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً{36} قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ
مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً{37} لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً{38}
وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً
وَوَلَداً{39} فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَاءِ
فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً{40} أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً{41} وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ
فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ
بِرَبِّي أَحَداً{42} وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِراً{43} هُنَالِكَ
الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً{44} وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء
أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً{45} الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ
رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً{46} وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ
مِنْهُمْ أَحَداً{47} وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ
أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِداً{48} وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ
يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً
وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً{49} وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ
الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ
بَدَلاً{50} مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ
الْمُضِلِّينَ عَضُداً{51} وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا
لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقاً{52} وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا
عَنْهَا مَصْرِفاً{53} وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ
شَيْءٍ جَدَلاً{54} وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن
تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً{55} وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا

هُزُواً{56} وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً{57} وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً{58} وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً{59} وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً{60} فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً{61} فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً{62} قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً{63} قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً{64} فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً{65} قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً{66} قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً{67} وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً{68} قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً{69} قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً{70} فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً{71} قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً{72} قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً{73} فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً{74} قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً{75} قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْراً{76} فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً{77} قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً{78} أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً{79} وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً{80} فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً{81} وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ

وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا
رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً{82} وَيَسْأَلُونَكَ
عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً{83} إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ
شَيْءٍ سَبَباً{84} فَأَتْبَعَ سَبَباً{85} حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ
حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماً قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً{86}
قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُّكْراً{87} وَأَمَّا مَنْ آمَنَ
وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً{88} ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً{89}
حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْراً{90}
كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً{91} ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً{92} حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ
وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً{93} قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ
وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
سَدّاً{94} قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً{95}
آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ
آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً{96} فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً{97} قَالَ
هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً{98} وَتَرَكْنَا
بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً{99} وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ
يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضاً{100} الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاء عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا
يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً{101} أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاء إِنَّا
أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً{102} قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً{103} الَّذِينَ
ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً{104} أُولَئِكَ الَّذِينَ
كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً{105} ذَلِكَ
جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً{106} إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً{107} خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا
حِوَلاً{108} قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي

وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً{109} قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً{110}. صدق الله العظيم.

فهـــرس الموضوعـــات

مقدمة...أ–ج

مدخل: الحوار القصصي اللغة والتواصل.......................................2

التعريف بالسورة 34

الفصل الأول: القصة في القرآن الكريم وخصائصها الفنية.........................40

المبحث الأول : مفهوم القصة في القرآن 43

المبحث الثاني: الخصائص الفنية العامة للقصة القرآنية..53

أولا: تنوع طريقة العرض...53

ثانيا: تنوع طريقة المفاجأة...56

ثالثا: ترك الفجوات بين المشاهد... 62 ....

المبحث الثالث: عناصر الحوار في القصة القرآنية.. 66

أولا: الحركة والحوار..66

ثانيا: الحوار في القصص القرآني..67

ثالثا: عناصر الحوار وشروطه...73

1– شخصية المحاور الذي يدير عملية الحوار..73

2– شخصية الطرف الآخر للحوار.. 74

3 – خلق الأجواء الهادئة للتفكير المستقل...75

4– المعرفة لموضوع الحوار...76

5– أسلوب الحوار..77

الفصل الثاني: التواصل الحواري في الخطاب القرآني القصصي..........................81

المبحث الأول:مفهوم التواصل...88

المبحث الثاني: مفهوم الإبلاغ..89 ....

المبحث الثالث: الحوار وطرق التواصل والإبلاغ في سورة الكهف..............................101
الخاتمة..
124
قائمة المصادر
والمراجع..127............
ملحق:المدونة...133
فهرس الموضوعات.. 139